ذخائر العرب
٦٢

كتاب
النِّزاع وَالتّخاصُم
فيمَا بَيْنَ
بَنِى أمَيّة وَبَنِى هَاشِم

تأليف

تقىّ الدّين المقْرِيزى

حققه وعلق حواشيه

دكتور حُسين مُؤنس



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة التحقيق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

سبقنى إلى تتبع مراحل حياة تقى الدين أحمد بن على المقريزى (٧٦٦ - ٨٤٥هـ/١٣٦٤ - ١٤٤٢م) أستاذى الدكتور محمد مصطفى زيادة - طيب الله ثراه - فى مقدمته لتحقيق الأجزاء الأولى من كتاب [السلوك لمعرفة دول الملوك]، ثم تلاه أخى الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال - عليه رحمة من الله ورضوان - فى مقدمة تحقيقه الثانى لكتاب [اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفا] (القاهرة ١٩٦٧م) وسبقهما إلى ذلك كارل بروكلمان فى تاريخه المعروف للأدب العربى.

ثم أضاف المستشرق الإنجليزى كليفورد إدموند بوزورث ملاحظات قيمة على حياة المقريزى ومذهبه فى التاريخ، وموقفه من نزاع بنى أمية وبنى هاشم، وذلك فى مقدمة الترجمة الإنجليزية القيمة لكتاب [النزاع والتخاصم] الذى أقدم لنصه المحقق بهذه السطور.

وقد نشر بوزويرث هذه الترجمة بعنوان :

Clifford Edmund Bosworth, **Al. Maørizi's Book of the Contention and strife Concerning the Relations between the Banū Umayya and the Banū Hāshim**

Journal of Semetic Studies, Monagraph no 3 Universty of Manchester 1980.

وقد تعاون أولئك الأساتذة الأجلاء على بيان فضائل المقريزى وخصائصه ومكانته بين مؤرخى الإسلام، فلم يبق لى فى الحقيقة فضل أضيفه إلى ما كتبوا

عن ذلك الرجل المجيد الذى وهب عمره كله لعلم التاريخ، فألف فيه الكتب الكبار والصغار والرسائل والبحوث، وأضاف إلى المكتبة العربية بجهده المبارك ثروة طائلة من العلم والمعرفة.

وقد كان كتاب المقريزى عن النزاع بين بنى أمية وبنى هاشم موضع عناية واهتمام كثيرين من أهل التاريخ منذ ألفه صاحبه إلى اليوم فى الشرق والغرب على السواء، فكثر استنساخ الناس إياه فى الماضى ووصلتنا منه نسخ عديدة، وكان أول من نشره محققًا تحقيقًا علميًا وقدم له وترجمه إلى الألمانية المستشرق جِرهارد فوس:

Gerhardus Vos, Die Kaempfe und Streitigkeiten Zwischen die Banu Umajja und die Banu Hashim. Leiden 1888.

وقد اعتمد فوس فى تحقيقه على مخطوطة ممتازة لتقى الدين المقريزى، كتب معظمها بيده، وراجعها أدق مراجعة فى شوال ٨٤١ هـ مارس - أبريل - ١٤٣٨ م، أى قبل موته بأربع سنوات، ولا زالت هذه المخطوطة القيمة محفوظة فى مكتبة لايدن فى هولندا.

وكذلك سبق إلى نشر هذا النص الأستاذ محمود عرنوس، وقد نشر النص بدون تحقيق يذكر فى مكتبة الأهرام بالقاهرة بدون تاريخ، وألحق الناشر بالنص رسالة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى النابتة، وهى رسالة قيمة فيها كلام كثير حول موضوع «النزاع بين بنى أمية وبنى هاشم» نشرها المحقق المدقق المتقن الأستاذ عبد السلام هارون فيما نشر من نوادر المخطوطات.

وقد كان نشر هذا النص القيم من آمالى من زمن طويل، لأنه - بالإضافة إلى كتاب صغير آخر من مكتبة المقريزى - هو «إغاثة الأمة بكشف الغمة» يعتبر من الدلائل القليلة على تأثر المقريزى بأستاذه شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون ومذهبه فى النظر التحليلى المتفلسف للتاريخ.

وإذا كان المقريزى قد درس فى النزاع والتخاصم موضوعًا هامًّا، ظل يشغل أذهان المسلمين جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، هو موضوع الخصومة بين بنى هاشم وبنى أمية - وهى الخصومة التى أدت فى النهاية إلى استئثار بنى أمية بالخلافة وخروجهم بها عن نصابها وسمتها الذى عرفه المسلمون أيام الراشدين - فقد درس المقريزى فى كتابه الثانى، وهو « إغاثة الأمة » موضوع أسباب الأزمات المالية والغلوات - أى ارتفاعات الأسعار - والمجاعات فى تاريخ مصر الإسلامية، أى أنه أنشأ فى صورة مختصرة - ما يمكن أن يسمى بتاريخ اقتصادى لمصر، وهذه محاولة مشكورة للخروج بالتاريخ من مجرد سرد الحوادث إلى استقرائها والاستنتاج منها واستخراج الأحكام من سياقها.

وليس بغريب أن ينفق المقريزى ذلك الجهد العظيم فى دراسة موضوع التخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم، فإن الموضوع ظل من موضوعات السياسة الحية التى لا يمل المسلمون قط الحديث فيها حتى أصبحت بالنسبة لكل عصر وكأنها مشكلة سياسية راهنة، وإلى حين قريب جدًّا كان الناس عندنا لا يملون الكلام فى مجالسهم عما وقع بين علىّ ومعاوية، وبعضهم كان يأخذ الأمر مأخذ الجد الصارم فيَسْتَحْنِفِر فى الكلام فيه وكأنه يناقش مشكلة من مشكلات الساعة، وقد استوقفت هذه الظاهرة مستشرقًا ألمانيا هو فلهلم إنْده ودفعه إلى اتخاذه موضوعًا لرسالته للدكتوراه، وعنوان رسالته « الأمة العربية والتاريخ الإسلامى - بنو أمية فى رأى المؤلفين العرب من أهل القرن العشرين » :

Wilhelm Ende, **Arabische Nation und islamische Geschichte. Die Umayyeden in Urteil arbische Autoren des 20. Jahrhunderts.** Beirut Wiesbaden, 1977.

وقد درس المؤلف فى ذلك الكتاب كيف أن مشكلة النزاع بين فَرْعَى عبد مناف بن قصى ظلت تثير حماس أهل الفكر فى العالم العربى حتى أيام محمد عبده ورشيد رضا وأضرابهما، ولكن القارئ سيتبين عندما يقرأ نص « النزاع والتخاصم » أن المقريزى وضع السؤال ولم يجب عنه، فقد كان دافعه إلى تأليف

كتابه - كما قال فى مدخله - أن يتعرف على السبب فى وصول بنى أمية إلى الخلافة مع أنهم كانوا أبعدَ الناس عن استحقاقها، ولكنه عندما عالج الموضوع لم يضع يده على السبب، وإنما أنفق الكتاب كله فى ذكر مثالب بنى أمية وما أوقعوه ببنى هاشم من المقاتل والمذابح، واستطرد فذكر ما أصاب آل علىّ على أيدى بنى العباس. وقد كان المقريزى يستطيع أن يسلك مسلكًا آخر إذا أراد حقيقة أن يعرف السبب فى وصول بنى أمية إلى الخلافة، وهو أن يعود بالموضوع إلى الجاهلية ويتتبع سِيَر تاريخ قريش قبل الإسلام ويتأمل ما يقرأ تأملاً طويلاً لكى يصل إلى جواب السؤال الذى شغل خاطره، ولو أنه فعل ذلك لتبنى حقائق كثيرة تجعل دراسته أكثر عمقًا وأصالة. فإن النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم لا يرجع كله إلى ما قبل الإسلام، وهو لم يبدأ قطعًا قبل مولدهما، كما يزعم الرواة من أن هاشمًا وعبد شمس ولدا توءمين وأصبع أحدهما ملتصقة بجبهة الآخر، وكان لا بد من فصل أحدهما عن الآخر بالسيف، فكان ذلك أول دم سال بينهما، فهذا حديث قصاص لأن الثابت تاريخيًّا أن عبد شمس كان طوال حياته حليفًا ومعينًا لأخيه هاشم، فعندما خرج هاشم لأخذ العصَم - أى جوازات المرور - من ملوك الشام: الروم وغسان، لكى تستطيع متاجر قريش دخول بلادهم دون مشقة، اشترك معه أخوه عبد شمس.

قال الطبرى: «فكانوا أول من أخذ لقريش العِصَم، فانتشروا من الحرم: أخذ لهم هاشم حبْلاً (عهدًا) من ملوك الشام: الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشى الأكبر، فاختلفوا بذلك السبيل إلى أرض الحبشة..»[1]، وأكمل أخواهما نوفل والمطلب العمل فأخذا عهدين من الأكاسرة وملوك حمير، فجبَّرَ الله بهم قريشًا فسمُّوا المجبِّرين[2]، بل كان الإخوة الأربعة حِلْفًا على من عداهم.

قال ابن سعد: «إن هاشمًا وعبد شمس ونوفلا بنى عبدمناف أجمعوا على أن

---

(١) و(٢) الطبرى، تاريخ جـ٢ ص ٢٥٢.

يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى، مما كان قصى جعل إلى عبد الدار (وهو عمهم) فرفضت بنو عبد الدار ذلك، وانضم إلى هاشم وإخوته بنو أسد ابن عبد العزى وبنو زُهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر، وهؤلاء هم أصحاب حلف المطَيِّبين، وفى مواجهتهم قام حِلف الأحلاف من بنى عبدالدار وبنى مخزوم وسهم وجمح وعدى بن كعب، ووقف بنوعامر بن لؤى ومحارب بن فهر على الحياد[1]. وهؤلاء الأخيرون يدخلون فى قريش الظواهر.

فالعداوة بين بنى هاشم وبنى عبد شمس لم تكن قديمة ولا دموية منذ ميلادهما، بل هى نشأت بعد ذلك لأسباب قبلية وأخرى سياسية. بل إننا نجد رجال بنى عبد شمس فى جملة المعتدلين فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام، وكان رأى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وأخيه شَيْبة أن تُخَلِّى قريش بين محمد والعرب، فإذا انتصر عليهم كان عزّه عزّهم، وإذا انتصروا عليه كان ذلك خلاصًا لهم دون كبير مئونة، وعندما كانت قريش تستعد للخروج لمعركة بدر، كان من أبطئهم فى ذلك الحارث بن عامر وأمية بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة (بن عبد شمس) وحكيم بن حزام وأبو البخترى، وعلى ابن أمية بن خلف والعاص بن مُنَبِّه حتى بكَّتهم أبو جهل بالجبن، وأعانه على ذلك عُقْبَة بن أبى مُعَيط والنضر بن الحارث بن كَلَدَة وتحمسوا للخروج، فقالوا: «هذا فعل النساء! فأجمعوا المسير، وقالت قريش لاتدعوا أحدًا من عدوكم خلفكم»[2]، وسياق حديث الواقدى يدل على أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة بن عبد شمس، كانا كارهين للمسير لقتال المسلمين فعلاً، وما عرض رجل منهم حُمْلانا - أى دواب للركوب والحمل - على أحد من الخارجين لقتال الإسلام ولا حملوا أحدًا من الناس، وإن كان الرجل ليأتيهم حليفًا أو عديدًا ولا قوة له، فيطلب الحُملان منهم فيقولون: إن كان لك مال فأحببت

---

(١) الواقدى: مغازى ٣٧/١.

(٢) انظر خبر ابن سعد برمته عند النويرى، نهاية الأرب: ٣٤/١٦.

أن تخرج فافعل، وإلا فأقم، حتى كانت قريش تعرف ذلك منهم[١]، فأين إذن هذه العداوة القديمة التى يتحدثون عنها؟

أما ما كان من تطاول أمية بن عبد شمس على عمه هاشم وتحدِّيه إياه، ثم ما كان بينهما من المفاخر التى حكم فيها الكاهن الخزاعى حُكْماً جائرًا على شاب فى مثل سن أمية بن عبد شمس إذ ذاك فيغلب أنه حديث قُصَّاص، والأغلب أن أصله عند الخزاعِيِّين الذين دخلوا فى حِلف رسول الله بعد الإسلام، ثم أرجع رواتهم الحِلف إلى الوراء فزعموا أنهم كانوا أحلاف عبد المطلب فى الجاهلية، بل رجعوا به إلى أيام هاشم[٢]، بل إن أبا سفيان ابن حرب لم يكن ألد أعداء الإسلام من قريش، وكان فى أمره كله معتدلاً فى موقفه من محمد صلى الله عليه وسلم وأمة الإسلام بعد الهجرة، وخاصة بعد هزيمة الأحزاب أيام الخندق، فإن الرجل اقتنع بأن لاقِبل لقريش بمحمد والإسلام ولهذا لا نجد له أثرًا فى مفاوضات الحدَيْبِية، ولكنه يعود إلى الظهور قبيل فتح مكة. فيكون سفير قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد عهد الحديبية بعد انْقطاعه - ولم يكن لأبى سفيان يد فى ذلك الانقطاع - وعندما لم يوفق فى تجديد العهد ورأى العزيمة من رسول الله على دخول مكة، قام بناء على نصيحة من علىّ بن أبى طالب بالإجارة لنفسه بين الناس. ورسول الله لم يرفض هذه الإجارة وإن لم يقرها فأصبحت سارية تشمله وتشمل قريشًا ومكة. إذا وقف القرشيون من جيش الإسلام موقف المستجير المسالم. وعندما عاد أبوسفيان إلى مكة خائب المسعى - فى ظن القرشيين - كان قد كسب لقريش أفضل مما كانت تطلب من مد المدة، أى تجديد العهد. وهو أن مكة فى الحقيقة والواقع أصبحت فى جوار أمة الإسلام، وتمهد الطريق ليدخلها المسلمون

---

(١) الواقدى، مغازى ٣٧/١.

(٢) انظر الطبرى: ٢٥٠/٢. وانظر الخبر عن ابن سعد برواية النويرى ٣٤/١٦.

سلمًا بغير قتال. وكان هذا ما يريده الرسول فعلًا، ولهذا. . وعلى طريقته من الحكمةِ البالغةِ، كافأ أبا سفيان على صنيعه بأن جعل له كرامة ظاهرية، وهى قوله : « ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وكان فى هذا إرضاء كافيًا لكرامة أبى سفيان وتقديرًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهده.

إذن فلم تكن هذه العداوة بين بنى هاشم وبنى عبد شمس قائمة قبل الإسلام بالشكل الحاد الذى يصوره لنا المؤرخون، فلم يكن هاشم منذ الميلاد عدوًا لأخيه عبد شمس، ولا كان بنو عبد شمس جميعًا ألد أعداء الإسلام طوال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان العباس بن عبد المطلب صاحبًا ونديمًا لأبى سفيان صخر بن حرب، وإنما نحن نجد بدايات لكراهية بنى أمية لعلىّ بن أبى طالب بالذات أثناء موقعة بدر وبعدها، بسبب ما قتل وجرح منهم فى ذلك اليوم، فقد قتل وحده أربعة من بنى عبد شمس هم: حنظلة بن أبى سفيان والعاص بن سعيد والوليد بن عتبة بن ربيعة وعامر بن عبد الله حليف بنى عبد شمس، واشترك فى قتل خامس هو شيبة بن عبد شمس، أى أن عليًا كان أكبر من هَدَّ بنيان بيت بنى عبد شمس فى ذلك اليوم، ونستطيع أن نتصور حقدهم عليه إذا ذكرنا ما فعلوه بعمِّه وصنوه فى حسن البلاء فى ذلك اليوم وهو حمزة بن عبد المطلب.

على أننا لا نستطيع أن نرد أمثال هذه العداوات الضخمة إلى مسائل ثارات وعاطفيات فحسب، خاصة وأن الإسلام جب ما قبله، ودخل به الناس فى عصر جديد. وهذا العصر بالذات كان سبب الخصومة الأكبر، لا بين على ابن أبى طالب وبنى عبد شمس فحسب، بل بين رجال كل البيوت القرشية الكبيرة بعضها وبعض.

لقد دخل هذا العصر على العرب بالإسلام، ولكنه دخل بالخلافة أيضًا، والخلافة فى منتصف سنوات عثمان بن عفان تبدل تركيبها ونسيجها تبدلاً

حاسمًا، فقد كانت إمامة ورياسة شورية أيام أبى بكر وعمر، ولكنها أصبحت سلطانًا دنيويًا ماديًا فى منتصف أيام عثمان، فقد انتهز بنو أمية الفرصة وتولوا الولايات الكبرى فى ظل عثمان وخاصة فى بلاد الشام، فقد حولوها إلى إقطاعية عبشمية، وعندما سخطت الأمة على عثمان وأرادت عزله استمسك بها استمساكًا بالغًا وقال عبارات مثل: لا أخلع قميصًا قمصنيه الله! ولا أخلع سربالًا سَرْبَلَنيه الله! أى أنه صار خليفة بإرادة الله ولا حق لأحد فى إخراجه منها أبدًا، وتشعر فى أثناء النزاع بين عثمان ومخالفيه بأن قومه بنى أمية كانوا من خلفه، وعندما قتل وقام بالأمر علىّ بن أبى طالب لم يكونوا مستعدين للتخلى عن ما بلغوه من القوة والجاه والمال منذ أيام عمر، وعندما أصر على بن أبى طالب على عزلهم بدأت المعركة فعلًا وبدأت معها الخصومة الحقيقية التى تحولت نتيجة لذلك إلى خصومة سياسية صرفا ونزاعًا على سلطات ومال وجاه. ومثل هذا الصراع يفتح الباب لكل خصومة وعداوة. والمبادئ والإخلاصات تهون والدماء أيضًا، بدليل أن بنى هاشم أنفسهم عندما أتيحت الفرصة لفرع منهم للاستيلاء على الخلافة انقلبوا على أبناء عمومتهم آل علىّ، وأنزلوا بهم من المذابح والويلات ما زاد على مافعل معهم بنو أمية.

وهذه الحقيقة تجيب عن السؤال الذى وضعه المقريزى ثم لم يجب عنه وهو: كيف وصل بنو أمية إلى الخلافة وهم كانوا فى رأيه - أقل القوم استحقاقًا لها؟ الجواب: أن الخلافة ما دامت قد أصبحت سياسة وقوة ومالا وجاهًا، فإن الذى يفوز بها هو الأمهر فى شئون الدنيا والسياسة والقوة والمال، ولا ينتصر فيها قط الأتقى أو الأقوم خلقًا أو الأشد تمسكًا بالدين، لهذا فاز بالخلافة أولًا بنو أمية ثم بنو العباس، وعندما يتعلم بعض آل علىّ أسرار السياسة وأساليب الوصول إلى الحياة والسلطان سيفوزون بها أيضًا.

* * *

وقد اعتمدنا فى تحقيق النص على المخطوطات التالية :

المخطوطة الأولى : رقم ٢٨٥٥ (تاريخ) فى دار الكتب المصرية وهى حديثة النسخ كتبت سنة ١٣٣٢ / ١٩١٤ م وهى منقولة عن نسخة أخرى نسخت عام ١١٣١ هـ كتبها السيد محمد الشبلاوى، وهى الأصل الذى اعتمد عليه الأستاذ محمود عرنوس القاضى، فى تحقيق نص النزاع والتخاصم الذى أشرنا إليه آنفًا ورمزنا لها بحرف [ك].

المخطوطة الثانية : رقم ١٩٤٩ (تاريخ طلعت) بدار الكتب المصرية وهى بخط قديم منقولة عن المخطوطة السابقة ورمزنا إليها بحرف [ب].

المخطوطة الثالثة : رقم ١٧٩٤ (تاريخ تيمور) بدار الكتب المصرية وهى مكتوبة بخط حديث وفيها شطب وأخطاء من الناسخ وهى منقولة فى الغالب عن المخطوطة الأولى وقد رمزنا لها بالحرف [ت].

المخطوطة الرابعة : رقم ٢٦٢٤٧ / ٦ وهى ضمن مجموعة مخطوطات المقريزى التى صورت من المكتبة الوليدية بالآستانة، وهى مكتوبة بخط قديم جدًا، ومنقولة عن نسخة بخط المؤلف موجودة فى المكتبة الوليدية فى إستانبول أيضًا وقد اتخذناها أساسًا لتحقيقنا ورمزنا لها بحرف [و].

وعلى هذا تكون رموز المخطوطات الواردة فى هوامش التحقيق كما يلى :

المخطوطة الأولى [ك]

المخطوطة الثانية [ب]

المخطوطة الثالثة [ت].

المخطوطة الرابعة [و] وهى التى اعتبرناها أساسًا للتحقيق.

وقد استعنا كذلك بصورة لمخطوطة لايدن التى نشرها جرهارد فوس. وأفدنا فائدة كبيرة من تعليقات الأستاذ كليفورد بوزويرث الكثيرة التى أضافها إلى

ترجمته الإنجليزية لنص النزاع والتخاصم، وحقيق بنا هنا أن نشيد بعمله ونقدر فضله

ولا بد قبل ختام هذا التقديم من أن نقول : إن صلب كتاب المقريزى نفسه بيان حزين بما أصاب آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم من بنى أمية أولاً ثم من أبناء عمومتهم بنى العباس.

وهذا البيان يضم الكثير من حقائق الصراع الدموى حول الخلافة، ويرينا كيف أن كل وسيلة أصبحت فى نظر أصحابها مشروعة ومقبولة ما دامت تعينهم على الوصول إلى الخلافة أو البقاء فيها.

فالقرابة مثلاً، وهى مفهوم واضح يراد به القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصبح لها عند بنى أمية ودعاتهم معنى جديدًا، وهو القرابة من حرم الله وبيته، وإذا كان لابد أن يكون المراد بها قرابة النسب، فإن بنى أمية هم آل عثمان ذى النورين وصهر الرسول مرتين، فهم أقرب إلى رسول الله من علىّ بن أبى طالب. لأنه لم يصهر له إلا مرة واحدة!

والسابقة فى الإسلام أصبح محورها عند بنى أمية عثمان بن عفان، فهو من السابقين الأولين، وبنو أمية قومه، فهم أهل سابقة على ذلك القول.

وخلال العصر العباسى يتسع معنى أهل البيت ليشمل بنى العباس ويجعلهم أحق بالخلافة من آل علىّ بن أبى طالب، فهم أقرب أهل بيت رسول الله إليه، لأن العباس كان صاحب السدانة وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم على السقاية، وهم أولى آل البيت بالميراث لأنهم أولاد عم الرسول، فى حين أن آل على أولاد ابن عمه.

ويستحدث رجال بنى العباس لقبًا جديدًا يُشرِّفون به أولياءهم، وهو أنهم أهل الكساء، أى كساء الكعبة أو كسوتها، وقد اهتم العباسيون من أيام المهدى بتلك الكسوة اهتمامًا بالغًا.

والمقريزى لا يرضى عن هذه المذاهب كلها ويعتبرها زيوفًا، ولهذا فهو بعد أن يحمل على بنى أمية يحمل حملة أشد منها على بنى العباس.

ولم يكن كتاب النزاع والتخاصم هو الرسالة الوحيدة التى كتبها المقريزى فى هذا المعنى، بل إن له رسالتين أخريين هما:

- كتاب فى ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس؛ وهو مخطوط فى مكتبة ڤينا رقم ٣٤٥ (مخطوطات عربية) وقد نشر بوزويرث نص هذه الرسالة فى كتاب ذكرى المهدى تحقيق د/إحسان عباس. بيروت ١٩٨٠.

- كتاب معرفة ما يجب لأهل البيت النبوى من الحق على من عداهم، وقد نشر هذا الكتاب محمد أحمد عاشور فى بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

* * *

ومخطوطات كتاب النزاع والتخاصم كثيرة نظرًا لطرافة موضوعه بالنسبة لأهل العصور الماضية، وقد أورد بروكلمان معظمها فى تاريخ الأدب العربى (ج ١ ص ٤٧ وما يليها، وج ٢ ص ٣٨ والملحق ج١/٣٠٥-٢/٣٦). ولكن أحسن تلك المخطوطات هى مخطوطة لايدن رقم ١٨٨٨ ومعظمها بخط المقريزى نفسه، وقد راجع النص كله وأصلحه بقلمه فى شوال ٨٤١هـ/مارس - أبريل ١٤٣٨م، وقد اعتمد على هذه المخطوطة الجيدة، جرهارد فوس فى تحقيقه وترجمته اللتين أشرنا إليهما، وقد رجعنا فى هذا التحقيق على مصور لطبعة فوس وترجمته الألمانية، ونعتقد أيضًا أن هذه المخطوطة هى التى رجع إليها بوزويرث، وتلى مخطوطة لايدن فى الجودة مخطوطتا ڤينا واستراسبورج وبعض مخطوطات دار الكتب فى مصر.

* * *

ونختم هذه المقدمة فنورد فيما يلى الخطوط الرئيسية لحياة تقى الدين المقريزى :

اسمه الكامل تقى الدين أحمد بن على بن محمد الحسينى، تقى الدين، ولد فى حارة برجوان فى حى الجمالية فى القاهرة سنة ٧٦٦ هـ/ ١٣٦٤ م.

وتولى تربيته وتعليمه جده لأمه ابن الصائغ، وأراد له أن يكون حَنَفِىَّ المذهب، وقد ظل المقريزى حنفيًا حتى توفى أبوه سنة ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤ م فتحول إلى المذهب الشافعى وكانت سنه إذ ذاك عشرين سنة، ويذهب بروكلمان - دون أن يذكر السن - إلى أن المقريزى مال إلى المذهب الظاهرى، ودرس المقريزى بعد ذلك دراسة واسعة فى الفقه واللغة والتاريخ، ويقول السخاوى فى التبر المسبوك فى ذيل السلوك (جـ ٢ ص ٢٢) إنه طاف على الشيوخ، ولقى الكبار وجالس الأئمة وأخذ عنهم، وكان من بين من درس عليهم عبدالرحمن ابن خلدون، وكان المقريزى من خيرة تلاميذه وأكثر المعجبين به - على ما قلناه - ودخل المقريزى وظائف الدولة، فعمل موقعًا بديوان الإنشاء، وكان بعد ذلك نائبًا من نواب الحكم عن قاضى القضاة الشافعى، ثم خطيبًا بجامع عمرو ابن العاص ثم مدرسًا بمدرسة السلطان حسن، ثم أصبح إمامًا بجامع الحاكم بأمر الله، ثم مدرسًا للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفى سنة ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩ م اختاره السلطان برقوق محتسبًا للقاهرة والوجه البحرى، ثم سافر إلى دمشق فى صحبة السلطان فرج بن برقوق، وكسب صداقة واحد من كبار الأمراء هو «بشتك الداودى» ونالته منه دنيا عريضة كما يقول السخاوى، وتولى النظر على أوقاف القلانسى والبيمارستان الغورى بمدينة دمشق. وقضى فى دمشق عشر سنوات ودرس فى أثنائها فى المدرستين الأشرفية والأقبلية، ثم عاد إلى القاهرة، وترك الوظائف وانقطع للتأليف، وفى سنة ٨٣٤ هـ/ ١٣٨٠ م رحل إلى الحجاز بأسرته حاجا وجاور هناك نحو خمس سنوات اشتغل فى أثنائها بالتدريس والتأليف، ثم عاد إلى مصر حيث لزم داره يؤلف الكتب والرسائل حتى توفى فى حارة برجوان يوم الخميس ١١ من رمضان

سنة ٨٤٥هـ ودفن قبل صلاة الجمعة من اليوم التالى بحوش الصوفية البيبرسية بعد عمر حافل بالتدريس والتأليف.

ومرجعى فى معظم هذه الترجمة القصيرة على ما كتبه الدكتوران زيادة والشيال فى مقدماتهما لما نشرا من كتب المقريزى، وقد أخذت بعض الملاحظات من الترجمة الصغيرة التى أوردها بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى كما ذكرت آنفًا.

وقد قمت بهذا التحقيق مستعينًا فيه بتلميذَىَّ محمد زينهم محمد عزب وعماد بدر الدين أبو غازى وهما من خيرة الشباب الذين نرجو منهما الخير الكثير فى تكوين مدرسة من الشباب المتخصص فى تحقيق كتب التراث.

والحمد لله فى البداية والنهاية، له الفضل والمنة سبحانه.

القاهرة فى يناير ١٩٨٤.

د. حسين مؤنس

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله المعطي ما شاء لمن شاء لا مانع لعطائه ولا راد لمراده وقضائه
احمده بما هو اهله من المحامد واشكره على فضله المتزايد
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا معاند واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وخليله اللهم صل عليه وعلى آله
وصحابته ومحبيه واهل طاعته وسلم وشرف وكرم
اما بعد فاني كثيرا ما كنت اتعجب من تطاول بني امية الى
الخلافة مع بعدهم من جذم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرب بني هاشم واقول كيف حدثتهم انفسهم بذلك واين بنو امية
وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه
من هذا الحديث مع تحكم العداوة من بني امية وبني هاشم في
ايام جاهليتها ثم شدة عداوة بني امية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ومبالغتهم في اذاه وتماديهم في تكذيبه فيما جاء به منذ
بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق الى ان فتح مكة شرفها
الله تعالى فدخل من دخل منهم في الاسلام كما هو معروف مشهور
واردد قول القائل

كم من بعيد الدار نال مراده ... وآخر داني الدار وهو بعيد

فلعمري لا بعد ابعد مما كان بين بني امية وبين هذا الامر
اذ ليس لبني امية سبب الى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب
الا ان يقولوا انا من قريش فيساوون في هذا الاسم قريش
الظواهر لان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واقع على
كل قرشي ومع ذلك فاسباب الخلافة معروفة وما يدعيه كل
جيل معلوم والى كل ذلك قد ذهب الناس فمنهم من ادعاها
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه لاجتماع القرابة والسابقة والوصية
بزعمهم فان كان الامر كذلك فليس لبني امية في ذلك شي من ذلك

ودعوى عند اهل العباسية وان ورثت لا تنال بالاسباب بعد
فليس لهم في السابقة قديم عهد مذكور ولا يوم مشهور
بل لو كانوا اذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون
به الخلافة ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها اشد المنع كان اهون
وكان الامر عليهم ايسر فقد عرفنا كيف كان ابو سفيان في
عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وفي محاربته وفي اجلابه
عليه وغزوه اياه وعرفنا اسلامه كيف اسلم وخلاصه
كيف خلص على انه انما اسلم على يد العباس رضي الله عنه
والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديفا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله ان يشرفه وان يكرمه
وينوه به وتلك يد بيضاء ونعمة غراء ومقام مشهود
وخير غير مشكور فكان ابو جزاء ذلك من بنيه ان حاربوا عليا
وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الاقتاب
حواسر وكشفوا عن عورة علي بن الحسين حين اشكل عليهم
بلوغه كما يصنع بذراري المشركين اذا دخلت ديارهم عنوة
وبعث معوية بن ابي سفيان الى اليمن بسر بن ارطاة
فقتل ابني عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم
فقالت امهما عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان ترثيهما

يا من احس بنيي اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
انحى على ودجي طفلي مرهفة ... مشحوذة وعظيم الاثم يقترف

وقتلوا الصلب من علي بن ابي طالب رضي الله عنه تسعة ومن صلب
عقيل بن ابي طالب تسعة ولذلك قالت نائحتهم

عين جودي بعبرة وعويل ... واندبي ان ندبت آل الرسول
تسعة منهم لصلب علي ... قد اصيبوا وتسعة لعقيل

وهم يزعمون ان عقيلا اعان معوية على علي فان كانوا كاذبين

(صورة الصفحة ١٠٢ من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوليدية بالآستانة برقم ٦/٢٦٢٤٧.

[illegible]

(صورة الصفحة ١٠٣ من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوليدية بالآستانة برقم ٢٦٢٤٧/٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعطي ما شاء من شاء ولا مانع لعطائه ولا راد لمراده وقضائه [illegible] بما هو
اهله من المحامد واشكره على فضله المتزايد واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له ولا معاند واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وخليله [illegible]
عليه وعلى آله وصحابته ومحبيه واهل طاعته وسلم وشرف وكرم اما بعد
فاني كثيرا ما كنت اتعجب من تطاول بني امية الى الخلافة مع بعدهم من جذم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب بني هاشم واقول كيف حدثتهم انفسهم
بذلك واين بنو امية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بني امية وبين بني هاشم في ايام
جاهليتهما ثم شدة عداوة بني امية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومبالغتهم
في اذاه وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين
الحق الى ان فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم في الاسلام كما هو معروف
مشهور وارد دقول القائل

كيف [illegible] مزوده   واحق [illegible]

فلعمري لابعد ابعد مما كان بين بني امية وبين هذا الامر اذ ليس لبني امية سبب
الى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب الا ان يقولوا انا من قريش فيساوون في هذا
الاسم قريش الظواهر لانه قوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واقع على كل
قرشي ومع ذلك فاسباب الخلافة معروفة وما يدعيه كل حزب معلوم وفي كل ذلك
قد ذهب الناس فمنهم من ادعاها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه باجتماع القرابة
والسابقة والوصية بزعمهم فان كان الامر كذلك فليس لبني امية في شيء من
ذلك دعوى عند احد من اهل القبلة وان كانت انما تنال الخلافة بالوراثة وتستحق
بالقرابة وتستوجب بحق العصبية فليس لهم في السابقة قديم مذكور ولا يوم
مشهور

(صورة الصفحة الأولى من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٤٩ تاريخ طلعت)

الشديد اشارهم واخرج العرب قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذين اعام الله بهم دين الاسلام من الديوان
واسقط عطاؤهم فسقط ولم يفرض لهم بعده عطاء، وأما
بدلهم الاتراك وخلع لباس العرب وزيهم ولبس التاج
وتزيا بزي العجم الذين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بقتلهم وقتالهم فزالت به وعلى يديه الدولة العربية
وتحكم منذ يومئذ مدة وايام دولة الاتراك الذين انذر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم فتغلبوا من بعده على
الممالك وسلطهم الله على ابنه جعفر سموه فقتلوه
ثم قتلوا ابن ابنه احمد المستعين وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا
على الاطراف كلها وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم
في خلافته من الانهماك في الترف المنهي عنه ما يقبح
مثله من احاد الرعية وجهر بالسوء من القول في امير
المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى قتله
الله بيد اعوانه وانصار دولته فقام من بعده ابنه
محمد المنتصر فاتى بطامة لم يسمع في الجور نظيرها وهو
انه كتب الى الآفاق بان لا يقبل علوي ضيعة
ولا يركب فرسا الى طرف من الاطراف وان يمنعوا من
اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين احد
من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه
فيه ولم يطالب ببينة وقرئ هذا الكتاب على منبر

مصر

(صورة الصفحة ٦٥ من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٧٩٤ تاريخ تيمور)

قال يا حمزة إن الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تيم وعدي

قال إنك وما هي إلا الدنيا وإن الدين لعارض فيها والعافية محبوبة وبهذا ارتفعت رؤوس وضعضعت نفوس فإن دلائل الأمور تتشعب وتباشير الخير تعرف ولله في خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله أن يتم شيء من أمر الدنيا إلا ويعتريه النقص

لما كانت بنو هاشم من بين قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعني الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب فصارت بذلك الشرف الباقي وكانت أموال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة لهذا زواها الله تعالى عنهم تنبيها على شرفهم وعلو مقدارهم فإن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لما خير اختار أن يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا وسأل مثل ذلك لآله كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وروى أبو عيسى الترمذي من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك وقال الترمذي هذا حديث حسن وخرج البخاري من حديث ابن أبي ليلى حدثنا علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبي فأتته تسأله خادما فلم توافقه فذكرت لعائشة رضي الله عنها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما (فقعد بيننا)[1] حتى ...

---

[1] (فقعد بيننا) هذه الجملة لم تكن في النسخة المنقول عنها لكنها واردة في صحيح البخاري

(صورة الصفحة ٣٤ من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٥٥ تاريخ)

كتاب

النزاع والتخاصم
فيما بين
بنى أمية وبنى هاشم

تأليف

الشيخ الإمام الحبر الحجة الحافظ

تقى الدين المقريزى

تغمّده الله برحمته

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله المعطى ما شاء لمن شاء لا مانع لعطائه، ولا راد لمراده وقضائه، أحمده بما هو أهله من المحامد، وأشكره على فضله المتزايد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معاند، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وخليله، اللهم صل عليه وعلى آله وصحابته، ومحبيه وأهل طاعته، وسلم وشرف وكرم.

[الغرض من تأليف الكتاب]*

أما بعد، فإنى كثيرًا ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية إلى الخلافة - مع بعدهم من جِذْم[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرب بنى هاشم - وأقول كيف حدثتهم أنفسهم بذلك؟ وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَعِينه من هذا الحديث، مع تحكم العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم فى أيام جاهليتها، ثم شدة عداوة بنى أمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومبالغتهم فى أذاه وتماديهم فى[2] تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله تعالى[3] بالهدى ودين الحق، إلى أن فتح مكة شرَّفها الله تعالى، فدخل من دخل منهم فى الإسلام كما هو معروف مشهور؟.

---

* العنوان من عندنا.

(١) الجِذْم (بكسر الجيم وتسكين الذال): الأصل، وجِذْم الرجل: أهله وعشيرته.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] «فى» وفى المخطوطة [ب] «على».

(٣) وردت فى المخطوطة [و] «الله تعالى» وفى المخطوطة [ب] «الله عز وجل».

وأردد قول القائل :

كم من بعيد الدار نالَ مراده وآخر دانى الدار وهو بعيد

فلعمرى لا بُعد أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر، إذ ليس لبنى أمية سببٌ إلى الخلافة، ولا بينهم وبينها نسبٌ إلا أن يقولوا : أنا من قريش، فيساوون فى هذا الاسم قريشَ الظواهر[1]، لأن قوله صلى الله عليه وسلم : « الأئمةُ من قريش »[2]، واقع على كل قرشى.

ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة، وما يدعيه كل جيل معلوم، وإلى كل ذلك قد ذهب الناس، فمنهم من ادعاها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم، فإن كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك * دعوى عند (أحد من)[3] أهل القبلة، (وإن كانت إنما تُنالُ الخلافة بالوراثةِ وتُستحقُّ بالقرابةِ وتُستوجبُ بحق العصبيةِ، فليس لبنى أميةَ فى ذلك متعلق عند أحد من المسلمين)[4]، وإن كانت لا تُنالُ إلا بالسابقةِ، فليس لهم فى السابقةِ قديمُ عهد مذكورٌ ولا يومٌ مشهورٌ، بل كانوا إذا لم تكن لهم سابقة، ولم يكن فيهم ما يستحقونَ به الخلافة، ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع، كان أهون، وكان الأمرُ عليهم أيسر.

---

(١) « قريش الظواهر » هم بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك، وتضيف إليهم بعض المصادر بنى تيم وبنى الأدرم ومعيص بن عامر بن لؤى، وذلك لأنهم نزلوا حول مكة وما والاها، وما سوى ذلك من بطون قريش يقال لهم « قريش البطاح » لأنهم سكنوا بطحاء مكة.

انظر : الأصفهانى فى الأغانى جـ١ ص٢٥٨. وابن عبد ربه الأندلسى فى العقد الفريد جـ٣ ص٣١٩ و ٣٢٠.

(٢) رواه أبو بكر الصديق عن الرسول ﷺ فيما قاله يوم سقيفة بنى ساعدة عندما اختلف المهاجرون والأنصار حول من يلى أمر الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ.

انظر : ابن عبد ربه جـ٤ ص٢٥٨. وابن خلدون فى المقدمة ص١٩٤.

وانظر : كذلك فنسنك (مفتاح كنوز السنة) ص٦.

(٣) وردت فى المخطوطة [ب]، ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٤) وردت العبارة بين القوسين فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

[مثالب بنى أمية]*

فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان فى عداوته للنبى[1] صلى الله عليه وسلم، وفى محاربته وفى إجلابه عليه، و (فى)[2] غزوه إياه، وعرفنا إسلامهُ كيف أسلم، وخلاصهُ كيف خلص، على أنه إنما أسلم على يد العباس رضى الله عنه، والعباسُ هو الذى منع الناس من قتلهِ، وجاء به رديفا[3] إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وسأل أن يشرفه وأن يكرمه وينوه به، وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور، وخبر غير منكور. فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا عليًّا، وسموا الحسن وقتلوا الحسين، وحملوا النساء على الأقتاب[4] حواسر[5]، وكشفوا عورة على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه[6] كما يصنع بذرارى[7]

---

* العنوان من عندنا.

(١) وردت فى المخطوطة [ب] «النبى».

(٢) وردت فى مخطوطات الفئة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٣) الرديف : الراكب خلف الراكب.

(٤) الأقتاب : جمع قَتَب، والقتب الرحل الصغير على قدم سنام البعير.

(٥) حواسر : جمع حاسر، والحاسر من النساء هى من ألقت عنها ثيابها وهى المكشوفة الرأس والذراعين، وتجمع على حُسر كذلك. والمقصود هنا واقعة نقل نساء بيت الحسين، بعد موقعة كربلاء إلى يزيد بن معاوية.

(٦) هو على الأصغر (على زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب من أم ولد، توفى بالمدينة سنة ٩٤هـ/٧١٢م على الأرجح. وكان يوم كربلاء مريضًا فلم يشترك فى القتال، وأخذ أسيرًا مع بقية أهل بيت الحسين، ونقل بعد المعركة برغم مرضه إلى يزيد بن معاوية، فأمر بكشف عورته ليتأكد إذا كان قد بلغ أم لا، فيأمر بقتله إذا كان قد بلغ - حسب ما جاء فى روايات المصادر التاريخية - وهو غير على الأكبر بن الحسين، الذى استشهد فى المعركة.

حول تفاصيل الخبر انظر : ابن سعد فى الطبقات الكبرى ج٥ ص٢١١ وما بعدها - والطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٥ ص٤٥٤ وما بعدها - والأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ص١١٨ - ١٢٢ - والنويرى فى نهاية الأرب ج٢٠ ص٤٦٥ وما بعدها.

وقد رجح بوزورث فى تعليقاته ص٦١٠ أنه على الأكبر وهو خطأ.

(٧) ذرارى : جمع ذرية بمعنى نسل.

المشركين إذا دُخلت ديارهم عنوة، وبعث معاوية بن أبي سفيان إلى اليمن بُسر ابن أرطأة[١]، فقتل ابنى عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم[٢]، فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان[٣]، ترثيهما[٤] :

---

(١) بُسر بن أرطاة أو بسر بن أبى أرطاة القرشى، من بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر، كان من أنصار معاوية فى صراعه ضد على، واختلف المؤرخون فى تحديد تاريخ وفاته.

انظر : ابن سعد «طبقات» جـ٧ ص٤٠٩ - وابن عبدالبر (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) القسم الأول ص١٥٧-١٦٦.

(٢) ابنا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب اللذان ذبحهما بُسر هما عبدالرحمن وقثم، وكان أبوهما عبيد الله بن العباس يلى اليمن لعلى بن أبى طالب عندما وجه معاوية بُسر بن أرطأة إلى الحجاز واليمن سنة ٤٠هـ/٦٦٠م فذبح ابنى عبيد الله.

وقد اختلفت الروايات حول ذبحهما، هل كان فى اليمن أو فى المدينة؟

حول تفاصيل الخبر انظر : الطبرى جـ٥ ص١٣٩ - ١٤٠، والمسعودى فى مروج الذهب، جـ٢ ص١٦ - ١٧ وابن عبد البر (القسم الأول) ص١٥٩ - ١٦١ - والنويرى جـ٢٠ ص٢٥٩ و ٢٦٤.

(٣) ورد الاسم هكذا فى المخطوطة [و] وفى باقى المخطوطات ورد (من عبد الديان).

انظر الزبيرى «نسب قريش» ص٣١ وانظر كذلك ترجمة عبد الله بن عبد المدان، «ابن سعد» جـ٥ ص٥٢٨.

هذا وقد اختلفت الروايات حول أم عبد الرحمن وقثم ابنى عبيد الله، فيذكر المسعودى جـ٢ ص١٧ أنها (جويرية بنت قارظ الكنانى)، فى حين يقول النويرى : إن أم ابنى عبيد الله أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ، وقيل عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان «جـ٢٠ ص٢٦١».

أما المبرد فيذكر أنها الحارثية من بنى الحارث بن كعب، انظر : المبرد «الكامل فى اللغة والأدب» جـ٢ ص٣٢٠.

(٤) البيتان وردا ضمن مجموعة من الأبيات المنسوبة إلى أم عبد الرحمن وقثم ابنى عبيد الله ترثيهما بها، وقد وردت الأبيات عند المبرد على النحو التالى :

يا من أحس بنيى اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بنيى اللذين هما	سمعى وطرفى، فَطَرْفِى اليوم مختطف
يا من أحس بنيَّ اللذين هما	مُخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بُسْرًا وما صدقت ما زعموا	من قولهم، ومن الإفك الذى اقترفوا
أنحى على وَدَجَىْ طفلَىَّ مرهفة	مشحوذة وعظيم الإفك يقترف
من دَل والهةً حَسْرَى ومُفْجَعَةً	على صبيَّيْن غابا إذ مضى السلف

المبرد جـ٢ ص٣٢٠.

وقد وردت الأبيات كذلك مع اختلافات فى عدد من مصادرنا نذكر منها : ابن عبد البر، الاستيعاب (القسم الأول) ص١٦٠ - والمسعودى جـ٢ ص١٧ - والنويرى جـ٢ ص٢٦٢ - وابن الأثير (الكامل فى التاريخ) جـ٣ ص١٩٥.

يا من أحس بُنَيـيَّ اللـذين همـا   كالدرتين تشظى[1] عنهما الصدف
أنحى على ودجى[2] طفلى مـرهفة   مـطرورة[3] وعـظيم الإثم يقـترف

وقتلوا لصلب على بن أبى طالب تسعة، ولصلب عقيل بن أبى طالب تسعة، لذلك قالت نائحتهم[4]:

عـين جـودى بعـبرة وعـويل   واندبى إن ندبت آل الـرسول
تسـعة منهـم لصـلب على   قـد أصـيبوا وتسـعة لعقيـل

هذا وهم يزعمون أن عقيلا أعان معاوية على علىّ، فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيرًا إذ ضربوا عنقَ مسلم بن

(١) تشظى الصدف عن الدر: أى تشقق عنه.

(٢) الوَدْجُ عرق متصل فى العنق، وهما وَدَجان.

(٣) مطرورة: محددة.

(٤) أورد ابن عبد ربه جـ٤ ص٣٨٣ هذه الأبيات منسوبة إلى بنت عقيل بن أبى طالب وهى ترثى الحسين ومن استشهدوا معه يوم كربلاء مع اختلاف فى الأبيات، فقد وردت:

عَيْـنىَ ابـكى بعـبرة وعـويل   واندبى إن ندبت آل الـرسول
سـتة كلهـم لصـلب على   قـد أصـيبوا وخمسـة لعقيـل

وقد ذكر ابن عبد ربه جـ٤ ص٣٨٥ أن من قتل مع الحسين من أبناء على بن أبى طالب خمسة هم: عثمان وأبو بكر وجعفر والعباس وإبراهيم، أما أبناء عقيل بن أبى طالب فقد ذكر أن خمسة منهم قتلوا بكربلاء ولم يحدد أسماءهم.

هذا وقد حاولنا إحصاء من استشهدوا من أبناء على بن أبى طالب وعقيل بن أبى طالب فى عهد بنى أمية فتوصلنا إلى تسعة من أبناء على وخمسة من أبناء عقيل أحصاهم الأصفهانى وهم: الحسن والحسين وعبد الله وجعفر وعثمان والعباس ومحمد الأصغر وأبو بكر وعبيد الله أبناء على بن أبى طالب، ومسلم وعبد الرحمن وجعفر وعبد الله الأكبر وعلى أبناء عقيل بن أبى طالب.

انظر الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ص٤٦، ص٨٠ - ٨٦، ص٩٢ - ٩٥، ص١٢٥.

وقد ذكر الأصفهانى أن جميعهم قتلوا يوم كربلاء ما عدا الحسين بن على ومسلم بن عقيل وعبيد الله بن على والأخير قتله أصحاب المختار بن أبى عبيدة الثقفى يوم المذار حسب الرواية التى يرجحها الأصفهانى، كذلك يذكر الأصفهانى أن بعض الروايات تذكر إبراهيم بن على بن أبى طالب من أم ولد ضمن من قتلوا فى كربلاء ويقول الأصفهانى فى ذلك: «وما سمعت بهذا... ولا رأيت لإبراهيم فى شىء من كتب الأنساب ذكرًا» مقاتل الطالبيين ص٨٧.

عقيل صبرًا وقتلوا معه هانئ بن عروة لأنه آواه ونصره[١].

قال الشاعر[٢] :

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى هانئ فى السوق وابن عقيل
ترى بطلا قد هشم السيف رأسه وآخر يرمى من طمار[٣] قتيل

وأكلت هند كبد حمزة، فمنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف (النفاق)[٤] ونقروا

(١) هما مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب وهانئ بن عروة المرادى، قتلهما عبيد الله بن زياد بالكوفة عندما بعث الحسين بن على مسلمًا من مكة ليأخذ له البيعة بالكوفة فنزل على هانئ بن عروة فى داره.
انظر: ابن سعد «طبقات» جـ٤ ص٤٢ - وأبو حنيفة الدينورى (الأخبار الطوال) ص٢٣١ - ٢٤٢ - وابن عبد ربه جـ٤ ص٣٧٧ - ٣٧٨ والأصفهانى مقاتل الطالبيين ص٩٥ - ١٠٩.

(٢) أورد الدينورى البيتين ضمن مجموعة من الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن بن الزبير الأسدى يقول فيها :

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى هانئ فى السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف أنفه وآخر يهوى من طمار قتيل
أصابهما ريب الزمان فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدًا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل

الدينورى ص٢٤٢.

أما الطبرى فقد أورد البيتين فى أكثر من موضع وقد نسبهما فى إحدى رواياته إلى الفرزدق، الطبرى جـ٥ ص٣٥٠ - ٣٥١، ص٣٧٩ - ٣٨٠.

أما الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين فقد نسبهما إلى عبد الله بن الزبير الأسدى، وأوردهما فى مطلع سبعة أبيات تقول :

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى هانئ فى السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل
ترى جسدًا قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل
أيركب أسماء الهماليج آمنا وقد طلبته مذحج بذحول
تطيف حواليه مراد وكلهم على رقبة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل

الأصفهانى مقاتل الطالبيين ص١٠٨.

(٣) الطمار : المكان العالى المرتفع.

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (الشقاق) وفى باقى المخطوطات (النفاق) وهو الصحيح، وقد استخدم هذه العبارة زياد بن عبيد (الذى اشتهر بزياد بن أبيه) وذلك عندما كان عاملاً لعلى على فارس قبل انضمامه إلى معاوية فى خطبة رد بها على معاوية عندما أرسل إليه يتوعده ويتهدده فاستهلها بقوله : «إن ابن آكلة الأكباد كهف النفاق وبقية الأحزاب، كتب يتوعدنى ويتهددنى» انظر : تاريخ اليعقوبى م٢ ص٢١٨.

(بالقضيب)[1] بين ثنيتى الحسين[2]، ونبشوا زيدًا[3] وصلبوه، والقوا رأسه فى عرصة الدار تطؤه الأقدام، وتنقر دماغهُ الدجاج، حتى قال القرشى[4]:

اطرد الديك عن ذؤابة زيدٍ طال ما كان لا تطؤه الدجاج

وقال شاعر بنى أمية[5]:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة ولم نر مهديًا على الجذع يصلب

وقتلوا يحيى بن زيد[6]، وسموا قاتله ثائر مروان[7] وناصر (الدين)[8]،

---

(١) لم ترد فى المخطوطة [و] وقد وردت فى باقى المخطوطات.

(٢) حول الخبر انظر: الطبرى جـ٥ ص٤٥٦ - الأصفهانى، مقاتل الطالبيين، ص١١٩.

(٣) زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، الإمام الرابع من أئمة الشيعة وهو الذى تنسب إليه الفرقة الزيدية، استشهد فى عهد هشام بن عبد الملك عندما خرج بالكوفة فوجه إليه يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق من يقاتله، فاقتتلوا وتفرق عن زيد من خرج معه، وقتل ثم صلب، وقد اختلفت الروايات فى تاريخ وفاته بين سنوات ١٢٠ و١٢١ و١٢٢هـ/٧٣٧ و٧٣٨ و٧٣٩م.

انظر: ابن سعد «طبقات» جـ٥ ص٣٢٥ و٣٢٦ - الطبرى، جـ٧ ص ١٦٠: ص١٧٣: وص ١٨٠: ص١٩١ - والمسعودى، مروج الذهب، جـ٢ ص١٦١، ص١٦٤ - وابن عبد ربه جـ٤ ص٤٨٤ - ص٤٨٧ - والأصفهانى مقاتل الطالبيين ص١٣٣، ص١٥١ وابن الأثير جـ٥ ص٢٢٩، ص٢٣٦، ص٢٤٢ - ٢٤٧.

(٤) ورد البيت عند المبرد جـ٣ ص٣١٠ منسوبًا إلى شاعر من أنصار بنى أمية ممن كانوا يهجون الشيعة.

(٥) ورد البيت منسوبًا إلى أعور كلب أو الأعور الكلبى فى العقد الفريد والأغانى، وقد ورد البيت باختلاف فى اللفظ فى بعض أصول العقد الفريد، حيث ورد على النحو التالى:

نصبت لكم زيدًا على جذع نخلة وما كان مهدى على الجذع ينصب

انظر: ابن عبد ربه، جـ٤ ص٤٨٣ - والأصفهانى فى الأغانى جـ٥ ص١٢٠ وابن خلكان، وفيات الأعيان جـ٦ ص١١١.

وأعور كلب أو الأعور الكلبى هو حكيم بن عياش، وكان ممن يهجون عليًا وأهل البيت فهجاه الكميت. انظر: الأصفهانى فى الأغانى جـ١٧ ص٩ وجـ١٨، ص٣٦ - ٣٧.

(٦) يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، قتل فى معركة مع سلم بن أحوز بنشابة أصابت جبهته، رماه بها رجل يقال له عيسى العنزى، فوجده سورة بن محمد قتيلاً فاجتز رأسه وأرسله إلى نصر ابن سيار، فبعث بها الأخير إلى الوليد بن يزيد وصلب جسده على باب مدينة الجوزجان، وربما كان ذلك فى رمضان سنة ١٢٥ هـ/٧٤٣م.

انظر: الطبرى جـ٧ ص٢٢٨ - ٢٣٠، الأصفهانى، مقاتل الطالبيين ص١٥٢، ١٥٨ ابن الأثير، جـ٢ ص٢٧١.

(٧) ثائر مروان أى الآخذ بثأر مروان، الثائر الذى لا يبقى على شىء حتى يدرك ثأره.

(٨) وردت فى المخطوطة [و] «ناصر الدعى» وفى المخطوطة [ب] ناصر الدين.

وضربوا على بن عبد الله بن العباس[1] بالسياط مرتين، على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التى كانت عند عبد الملك بن مروان[2]، وعلى أن نحلوه[3] قتل سليط[4]، وسموا أبا هاشم بن محمد بن على[5]، وضرب سليمان بن حبيب بن

---

(١) على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الملقب بالسجاد لتقاه وكثرة صلاته، نفاه الوليد إلى موضع جنوبى الأردن فى إقليم حوران يقال له الحميمة وظل فيه حتى وفاته فى سنة ١١٧ أو ١١٨ هـ/ ٧٣٥ أو ٧٣٦م. وقد أصبحت الحميمة مركزًا للدعوة السرية للحركة العباسية.

انظر: أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى ص ١٣٤ - ١٥٩، ابن سعد جـ٥، ص٣١٢: ص ٣١٤، الزبيرى ص٢٨ - ٢٩، ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب، ص١٩ - ٢٠، وانظر كذلك تعليقات بوزورث على ترجمته لمخطوطة النزاع والتخاصم، ص١١٣. وانظر دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة: مادة الحميمة. Vol. III, P.574 (D. Sourdel)

ومادة على بن عبد الله بن العباس Vol. I, P.381 (K. V. Zettersteen).

(٢) تشير المصادر إلى أن هذا الزواج كان فاتحة الخلاف بين على بن عبد الله وبين عبد الملك بن مروان، وقد اختلفت المصادر فى تحديد اسمها، ففى أخبار الدولة العباسية لمجهول ص١٣٨ - ١٣٩، ورد أنها لبابة بنت عبد الله بن جعفر، فى حين يذكر الزبير فى نسب قريش ص٨٣، أنها أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأن على بن عبد الله تزوجها بعد أن طلقها عبد الملك بن مروان فظلت زوجة له إلى أن ماتت، ويذكر ابن عبد ربه جـ٥ ص١٠٣ أن الوليد بن عبدالملك ضرب على بن عبد الله فى تزوجه لبابة بنت عبد الله ابن جعفر، وهو ما ورد كذلك فى الكامل للمبرد جـ٢ ص١١٢ وعند ابن خلكان جـ٣ ص٢٧٥. وقد وردت أم أبيها ولبابة ضمن بنات عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى نسب قريش للزبيرى ص٨٧، وبمراجعة ترجمة على بن عبد الله فى طبقات ابن سعد جـ٥ ص٣١٢ - ص٣١٤ وجدنا أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ضمن زوجاته، كذلك ذكرها الزبيرى فى ذكره لولد عبد الله بن العباس ضمن زوجات على ص٢٩.

(٣) نسبوا إليه أمرًا لم يفعله، والإشارة هنا إلى مانسب لعلى بن عبد الله.

(٤) سليط بن عبد الله بن العباس من أم ولد، وكان عبد الله بن العباس قد نفاه ثم استلحقه، واتهم على بن عبد الله بقتله بسبب خلاف على الميراث بينهما، وسليط هذا هو الذى انتسب إليه أبو مسلم الخراسانى فيما بعد، انظر: أخبار الدولة العباسية ص١٤٩ و١٥٠ والطبرى جـ٧ ص٤٩١ وابن حزم ص١٩ وص٢٠.

هذا وتذكر بعض المصادر أن على بن عبد الله ضرب بالسياط فى المرة الثانية بسبب مانسب إليه من أنه قال إن الخلافة ستكون فى بنيه، أخبار الدولة العباسية ص٣٩ وابن عبد ربه جـ٥ ص١٠٣ وص١٠٤ وابن خلكان، جـ٣ ص٢٧٦.

وقد ورد فى مخطوط أخبار الدولة العباسية ص١٤٩ -١٥٠ أن الوليد عندما اتهم على بن عبد الله بقتل سليط أقامه فى الشمس حتى حمله عبد الله بن عبد الله بن الحارث وعالجه ثم نفاه الوليد بعدها إلى الحميمة.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب، ويكنى أبا هاشم، ويقال إن سليمان بن عبد الملك دس له سمًا فمات منه لأنه كان يخشى منه كمنافس سياسى، ويقال إنه عندما أحس باقتراب أجله اجتهد فى الوصول إلى الحميمة حتى يتنازل عن حقه فى الخلافة إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس، وقد درج المؤرخون على اعتبار هذا التنازل أو هذه الوصية أساسًا شرعيًا لادعاء العباسيين بحقهم فى الخلافة وهو الحق الذى انتقل من محمد إلى إبراهيم الإمام.

المهلب أبا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة[1]، وقتل مروان الحمار الإمام إبراهيم بن محمد بن على أدخل رأسه فى جراب نورة[2] حتى مات.

= ومن الجدير بالذكر أن أبا جعفر المنصور فى مراسلاته مع محمد (النفس الزكية) فيما بعد، لم يشر إلى ذلك التنازل على الإطلاق، لأن العباسيين بعد أن استقر لهم الأمر ادعو أنهم هم أصحاب الحق دون العلويين، هذا وكان عبد الله قد أصبح زعيماً لفرع الكيسانية فى الشيعة وهم الذين اتبعوا المختار الثقفى فى ثورته ضد الأمويين.

انظر: أخبار الدولة العباسية ص١٧٣، وما بعدها - والأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ص١٢٦، وابن عبد ربه جـ٥ ص٧٩ وما بعدها، ابن الأثير جـ٥ ص٥٢٩ وما بعدها - وابن خلكان، جـ٤ ص١٧٣، ص١٨٧ - ١٨٨، وانظر كذلك: تعليقات بوزورث ص١١٣ - ١١٤، ومادة الكيسانية فى دائرة المعارف الإسلامية (E.I.) VI, IV

وانظر البحث المنشور فى مجلة جمعية المستشرقية الإيطالية: R.S.O. مجلد ٢٧ (١٩٥٢) ص٢٨ - ص٤٦.
S. Moscati, Il Testamento di Abu Hashim

(١) فيما يتعلق بما ذكره المقريزى هنا من ضرب المنصور بالسياط على يد سليمان بن حبيب، كتب بوزورث تعليقاً مطولاً فى ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم قال فيه: إن سليمان بن حبيب عامل خراسان لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية كان قد قبض على أبى جعفر عبد الله بن محمد بن محمد بن على (المنصور فيما بعد) فى الأهواز سنة ١٢٩ هـ (٧٤٦/٧٤٧م) واتهمه بأنه متواطئ مع عبد الله بن معاوية وسجنه وتوسط له أبو أيوب المورياني كاتب سليمان ونصح أبو أيوب سليمان بألا يسرف فى الإساءة إلى أبى جعفر لأن ذلك يغضب العباسيين الذين كانت ثورتهم بقيادة أبى مسلم فى طريقها إلى النصر وقد استمع سليمان لنصيحة وزيره وأطلق سراح أبى جعفر، ولكن بعد أن ضربه بالسياط، وقد كوفئ أبو أيوب بعد ذلك - فى أيام خلافة المنصور - بالوزارة، إلا أن المنصور سرعان ما انقلب عليه وقتله، ويشير بوزورث هنا إلى أن الخليفة العباسى السفاح قد قتل سليمان ابن حبيب بتحريض من الشاعر سديف بن ميمون، وبمراجعة مصادرنا وجدنا اختلافات عدة حول هذا الخبر فيذكر الجهشيارى كتاب الوزراء والكتاب ص٩٨ و٩٩ أن سبب الخلاف بين سليمان بن حبيب وأبى جعفر كان بعض الأمور المالية، ويذكر المبرد جـ٢ ص٣٠٦ أن الذى قتل على يد السفاح بتحريض سديف هو سليمان ابن هشام بن عبد الملك، وهو ما ذكره اليعقوبى كذلك م٢ ص٣٨٩، وابن الأثير جـ٥ ص٤٢٩.

أما ابن خلكان فيذكر أن المنصور هو الذى قتل سليمان بن حبيب جـ٢ ص٤١٠ - ٤١٤، ويشير ابن عبد ربه جـ٤ ص٤٨٥ وجـ٢ ص٩٠ إلى أن الأبيات المنسوبة إلى سديف قيلت فى التحريض على قتل عدد من بنى أمية يجاوز الثمانين ولم تُقل فى التحريض على قتل شخص واحد.

راجع كذلك الجهشيارى ص١٩٨ - والأصفهانى فى الأغانى جـ١٤ ص١٧٢ طبعة بولاق. وانظر كذلك: بحثى سوردل دومين والفاروق عمر الأجزاء الخاصة بالوزراء فى العصر العباسى:

Sourdel, **Le Vizirat àbbaside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hegire)**, Damascus 1959 - 60, I. 78 - 9. F. Omar Politiccs, and the problem of succession in the early Abbasid Period 132/ 750 - 158 - 775, in **Abbasiyyat, studies in the history of the early Abbasids. Baghdad** 1976, 62.

(٢) النورة هى الحجر الجيرى أو أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريوم تستخدم لإزالة الشعر، والمقصود هنا أنهم وضعوا رأسه فى جراب مملوء بالجير. وحول قتل إبراهيم الإمام. انظر: أخبار الدولة العباسية =

(وقتلوا يوم الحرة[١] عون بن عبد الله بن جعفر)[٢]. (وقتلوا يوم الطف[٣] مع الحسين أبا بكر بن عبد الله بن جعفر)[٤]، وقتلوا يوم الحرّة (أيضًا)[٥] الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب)(والعباس بن عتبة ابن أبى لهب، وعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب)[٦]، ومع ذلك كله فإن عبد الملك بن مروان (أبا الخلفاء من بنى مروان)[٧] أعرق الناس فى الكفر لأن جده لأبيه الحكم بن أبى العاص لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطريده، وجدّه لأمه معاوية بن المغيرة بن أبى العاص طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قتله على وعمار صبرًا.

ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه، هذا وبنو أمية قد هدموا الكعبة[٨]، وجعلوا الرسول ﷺ دون * الخليفة، وختموا فى أعناق

= ص ٣٨٧ وما بعدها، والطبرى جـ٧ ص٤٣٥ - ٤٣٧، والمسعودى جـ٢ ص١٩٢ و١٩٣ وانظر كذلك مادة إبراهيم بن محمد فى دائرة المعارف الإسلامية (E.I.) Vol. III P.P 988 (F. Omar).

(١) كانت واقعة الحرة فى ذى الحجة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية فوجه إليه مسلم بن عقبة بن رياح، والحرة المذكورة هى حرة المدينة. انظر: الطبرى جـ٥ ص٤٨٢ : ص٤٩٥، والنويرى جـ٢٠ ص٤٠٠ - ٤٩٠.

(٢) وردت العبارة بين القوسين فى المخطوطتين [ت و ك] ولم ترد فى المخطوطتين [و، ط] وعون بن عبد الله ابن جعفر المذكور هنا هو عون الأصغر بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، انظر: الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ص١٢٤.

(٣) يوم الطف هو يوم كربلاء، ووقع فى العاشر من المحرم سنة ٦١هـ/٦٨٠م.

والطف هو المنطقة المحيطة بالكوفة، وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، والطف لغة: هو ساحل البحر أو فناء الدار.

(٤) وردت العبارة بين القوسين فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و]، ويذكر الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ص١٢٣، والنويرى جـ٢٠ ص٤٩٤ أن أبا بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قد قتل يوم الحرّة.

(٥) (أيضًا) لم ترد فى المخطوطتين [و، ت].

(٦) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى المخطوطة [ب].

(٧) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى المخطوطة [ب].

(٨) ضرب الأمويون الكعبة إبان ثورة عبد الله بن الزبير مرتين بالمنجنيق، المرة الأولى سنة ٦٤هـ، على يد الحُصَين بن نُمير، والمرة الثانية سنة ٧٣هـ على يد الحجاج بن يوسف، كما هدم الحجاج سنة ٧٤هـ الزيادات التى كان عبد الله بن الزبير قد أدخلها على الكعبة. انظر: الطبرى جـ٥ ص٤٩٨ وجـ٦ ص١٨٧، ص١٩٥.

الصحابة[١]، وغيروا أوقات الصلاة، ونقشوا أكفَّ المسلمين، ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووطِئت المسلمات فى دار الإسلام بالبقيع فى أيامه[٢].

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بنى أمية قال: «كان عبد الملك جبارًا لا يبالى ما صنع، وكان الوليدُ مجنونًا، وكان سليمان همه بطنه وفرجه، وكان عمر أعور بين عميان، فإذا قيل: عدل، قال: إن من عدله أن (لا)[٣] يقبلها ممن لم يكن لها أهلاً ويتولاها بغير استحقاق، وكان رجلهم هشام».

وقد صدق أبو جعفر.

وقد كان يقال لهشام: الأحول السرَّاق، لأنه ما زال يُدْخل عطاء الجند شهرًا فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة، فلذلك قالوا: الأحول السرَّاق.

وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومى: «ما رأيت من هشام (خطأ)[٤] قط إلا مرَّتين. فإن الحادى حدا به مرة فقال:

---

(١) إشارة إلى وضع الحجاج بن يوسف الثقفى أختام الرصاص فى أعناق الصحابة فى المدينة سنة ٧٤هـ بعد أن قضى على ثورة عبد الله بن الزبير. انظر: الطبرى جـ٦ ص١٩٥، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة جـ١ ص١٩١ وانظر كذلك: عبد الرحمن فهمى محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النُّميَّات ص٦٨، ص٧٦.

(٢) المقصود بوطء المسلمات هنا، ماوقع يوم الحرَّة، وقد ذكر الطبرى والنويرى أن مسلم بن عقبة أباح المدينة ثلاثة أيام بعد انتصاره على أهلها، وذكر ابن خلكان أنه بعد واقعة الحرَّة «ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس لهن أزواج بسبب ما جرى فيها من الفجور». انظر كذلك الطبرى جـ٥ ص٤٨٢ وما بعدها - والنويرى جـ٢٠ ص٤٨٧، وما بعدها وابن خلكان جـ٦ ص٢٧٦ وما بعدها.

والمراد بالبقيع بقيع الغرقد وهو موضع مدافن المدينة أيام الرسول واستمر مدة بعده، ويقع شرق المدينة، وقد أصبح البقيع موضعًا له مكانته الكبرى عند الشيعة نظرًا لكثرة من دفن فيه من كبار أهل البيت وأولهم فاطمة (رضى الله عنها)، والحسن بن على، ومحمد بن الحنفية، وعلى بن الحسين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وغيرهم.

انظر: السمهودى فى وفاء الوفا جـ٣ ص٨٩٣ - ٩٢٤ وجـ٤ ص١١٥٤، وانظر كذلك مادة بقيع الغرقد فى دائرة المعارف الإسلامية. Vol. I. PP 957 U 958 (A. J. Wensinck – A.S. Baznee Ansari).

وحول هذه الأحداث كلها راجع رسالة الجاحظ.

(٣) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٤) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

إن عليك أيها البختى[1] أكرم من تمشى به المطى

فقال : صدق قولك.

وقال مرة : «والله لأشكونَّ سُليمان بن عبد الملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان».

وهذا ضعف شديدٌ وجهلٌ عظيم.

وكان هشام يقول : «والله إنى لأستحى من الله أن أعطى رجلا أكثر من أربعة آلاف درهم».

وقدَّم هشام ابنه سعيدا على حمص فرمى بالنساء، فكتب أبو الجعد الطائى إلى هشام مع (حمصى)[2] وأعطاه فرسًا على أن يُبلغ الكتاب، وفيه[3] :

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقد أمددتنا بأمير ليس عنينا
طورًا يخالفُ عمرًا فى حليلتِه وعند راحة يبغى الأجر والدينا

فعزله وقال : «يا بن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين، أعجزت أن تفجر فجور قريش قبل هذا؟ وأظنه قال[4] : هذا لا يلى لى عملا أبدًا[5]».

---

(١) البختى : لفظ معرب بمعنى الإبل الخراسانية وهى مفرد جمعها : البُخت.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (يحيى) وفى المخطوطة [ب] (خصى) وقد صوبناها من العقد الفريد جـ٤ ص٤٤٨، وقد وردت فى بعض أصول العقد الفريد (خصى) إلا أن الأصح هو ما أثبت فى المتن وأثبتناه هنا.

(٣) ورد البيتان فى العقد الفريد على النحو التالى :

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقد أمددتنا بأمير ليس عنينا
طورًا يخالف عمرًا فى خليلته وعند ساحته يسق الكلادينا

ابن عبد ربه جـ٤ ص٤٤٨.

(٤) وردت فى المخطوطة [ب] (وما أخذ مالى) والمثبت فى المتن ما ورد فى المخطوطة [و].

(٥) فى رواية العقد الفريد جـ٤ ص٤٤٨ ورد الخبر على النحو التالى : «فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيد فأشخصه، فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة وقال : يا ابن الخبيثة، تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين، ويلك! أعجزت أن تفجر فجور قريش؟ أو تدرى ما فجور قريش لا أم لك؟ قتل هذا وأخذ مال هذا والله لا تلى لى عملا حتى تموت، قال : فما ولى عملا حتى مات».

وحسبك من عبد الملك بن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول : * «ما أنا بالخليفة المستضعف، ولا بالخليفة المُدَاهن، ولا بالخليفة المأفون»[١].

وهؤلاء هم سلفه وأئمته، وبشُفعتهم قام هذا المُقام وبتأسيسهم وتقدمهم نال تلك الرياسة. ولولا العادة المتقدمة، والأجنادِ المُجندة، والصنائع القائمة، لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام، فالمستضعف عنده عثمان بن عفان رضى الله عنه، والمُداهِن عنده معاوية رضى الله عنه[٢]، والمأفون عنده يزيد بن معاوية.

والضعيف لا يكون خليفة، لأنه الذى ينال القوى منه عند انتشار الأمر عليه، والمُداهن لا يكون إمامًا، ولا يوثق منه بعقد، ولا بوفاء عهد، ولا بضمير صحيح، ولا بخيب كريم، والمأفون لا يكون إمامًا.

وهذا الكلام نقض لسلطانه، وعداوةٌ لأهلِه، وإفسادٌ لقلوبِ شيعتِه، وقرة عين عدوه، وعجزٌ فى رأيه، فإنه لم يقدر على إظهار قوته إلا بأن يُظْهر عجز أئمته.

[فى أصل المنافرة بين بنى هاشم وبنى أمية]*

وقد كانت المنافرة لا تزال بين بنى هاشم وبنى عبد شمس، بحيث إنه يقال : إن هاشمًا وعبد شمس ولدا توءمين، خرج عبد شمس فى الولادة قبل هاشم، وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر، فلما نُزعت دمِىَ المكان،

---

(١) ورد على الهامش الأيمن للمخطوطة [و] شرحًا للفظ المأفون : بأنه (الضعيف العقل والرأى والمتمدح بما ليس عنده) ا.هـ.

(٢) لم ترد (رضى الله عنه) إلا فى المخطوطة [و].

* العنوان من عندنا.

فقيل : سيكون بينهما أو بين بنيهما[١] دم، فكان كذلك.

ويقال : إن عبد شمس وهاشما كانا يوم ولدا فى بطن واحد، وكانت جباههما ملتصقة[٢] بعضها ببعض، فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف. فقال بعض العرب : ألا فَرّقَ ذلك بالدرهم[٣] ! فإنه لا يزال السيف بينهم وفى أولادهم إلى الأبد[٤].

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبدمناف بن قصى، وبين ابن أخيه أمية بن عبدشمس بن عبد مناف وسببها : أن هاشما كانت إليه الرِّفادة التى سنها جده قُصى بن كلاب بن مُرة مع السقاية، وذلك أن أخاه عبد شمس كان يسافر

---

(١) وردت فى المخطوطة [ب] (ولديهما) وفى المخطوطة [و] (بينهما).

(٢) وردت فى المخطوطة [ب] (ملصقة) وفى المخطوطة [و] (ملتصقة).

(٣) الدرهم : لفظ معرب، وهو القطعة من الفضة المضروبة للمعاملة.

(٤) تعليقًا على ما يذكره المقريزى هنا من أن هاشمًا وأخاه عبد شمس ابنى عبد مناف، ولدا توءمين ملتصقًا أحدهما بالآخر، ذكر بوزورث فى تعليقاته على ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم أن صديقًا له نبهه إلى أن هذا النوع من القصص الأسطورى المتعلق بالعداوة بين الإخوة التوائم يتوارد فى الأدب الشعبى العالمى، وهو يحيل فى ذلك على فهرس لموضوعات الأدب الشعبى المتكررة فى آداب الشعوب وهو :

Smith Thompson, Matif-index of folk literatire, Bloomingtons and London, 1966.

وقد ورد موضوع العداء بين التوائم فى ذلك الدليل فى أكثر من موضع، فقد ورد تحت رقم (A.511.1.2.1) تحت عنوان نزاع الإخوة المتعادين ثقافيًا وكيف يكونون كذلك قبل الميلاد، كما ورد رقم (T.575.1.3) بعنوان التوائم يتنازعون فى رحم الأم قبل الميلاد، كذلك ورد برقم (T.85.2.) بعنوان (التوائم المتعادون) وبرقم (F.523) تحت موضوع (شخصان يولدان بجسد واحد). كذلك ورد برقم (N.312) فى موضوع فصل التوائم.

ويضيف بوزورث معلقًا على ما يذكره المقريزى هنا من عداء هاشم وعبد شمس أن ما ذكره المقريزى يستند إلى ما ورد فى العهد القديم من العداء بين عيسى ويعقوب ابنى إسحاق انظر : سفر التكوين (إصحاح ٢٥ الآيات ١٩ - ٣٤، والإصحاح ٢٧، والإصحاح ٢٨ الآيات ١ - ٩) ويرى لامانس أن مثل هذه القصص عن العداوة المبكرة بين عبد شمس وهاشم اخترعت متأخرًا لكى تشرح الانقسام الذى حدث بعد الإسلام بين الحيين، لأنه فى السنوات الأولى من حياتهما كانت العلاقات طيبة بينهم.

انظر : Lammens, H. Etudes sur le Régne due Calif Moawiya 1er, pp. 154, flo.

ومهما يكن الأمر فإن هذه الأسطورة قد قبلت فى الأجيال التالية، على أن العداوة بين هاشم وعبد شمس قديمة.

هذا وقد أورد المقريزى هذه القصة عن المصادر العربية القديمة، فقد وردت عند كثير من المؤرخين السابقين عليه : انظر على سبيل المثال : ابن سعد جـ١ ص٧٦، والطبرى جـ٢ ص٢٥٢، ص٢٥٤.

وقلّما يقيم بمكة، وكان رجلا مُقِلاّ، وله ولد كثير، فاصطلحت قريش على أن
ولى هاشم السقاية والرِّفادة * وكان هاشم رجلا مُوسرًا، فكان إذا حضر موسم
الحج قام فى قريش فقال: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته،
وإنكم يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله، يعظمون حرمة بيته، وهم ضيفُ الله،
وأحق الضيف بالكرامةِ ضيفه، وقد خصكمُ اللهُ بذلكَ، وأكرمكم به، حفظه
منكم، أفضل ما حفظ جارٌ من جارِه، فأكرموا ضيفهُ وزواره، فإنهم يأتون
شعثًا غُبرًا، من كل بلدٍ، على ضوامرٍ[1] كالقداح[2] وقد أزحفوا[3] وتَفِلُوا[4]
وقَملوا[5] وأرملوا[6]. «فأقروهم، وأغنوهم، وأعينوهم» فكانت قريش ترافد على
ذلك حتى أن كان أهل البيت لَيرسلون بالشيء اليسير على قدرهم، فيضمه
هاشم إلى ما أخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس، فإن عجز كمله.

وكان هاشم يُخْرِج فى كل سنة مالا كثيرًا، وكان قوم من قريش يترافدون
وكانوا أهل يسار، فكان كل إنسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هِرْقلية[7]،
وكان هاشم يأمر بحياض من أدم، فتجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحفر
زمزم[8]، ثم يستقى فيها من الآبار التى بمكة فيشرب الحاج.

---

(١) ورد بهامش المخطوطة [و] (ضوامر جمع ضامر وهو الجمل الذى يهزل) أهـ. والضامر هو القليل اللحم الرقيق ويقال للجمل ضامر وناقة ضامر وضامرة.

(٢) ورد بهامش المخطوطة [و] (والقداح واحدها قدح بكسر القاف وهى السهام وقيل العود إذا قطع على مقدار النبل) أهـ.

(٣) ورد بهامش المخطوطة [و]: (ويقال أزحف الرجل إذا أعيت إبله) أهـ. وأزحف: أعيا وأزحفهم السفر أى أعياهم.

(٤) ورد بهامش المخطوطة [و] (وتفل إذا ترك الطيب) أهـ. وتفَلوا تغيرت رائحتهم.

(٥) ورد بهامش المخطوطة [و] (وقمل إذا كثر قمله).

(٦) ورد بهامش المخطوطة [و] (وأرملوا احتاجوا، يقال رجل أرمل وامرأة أرملة محتاجة) أهـ. وأرمل فلان أى نفد زاده وافتقر.

(٧) مثقال هرقلية: هى الدينار الذهبى البيزنطى وكان العرب يستخدمونه فى معاملاتهم قبل الإسلام.

(٨) كشفت زمزم حسب ما ترويه المصادر التاريخية على يد عبد المطلب بن هاشم.

انظر: ابن هشام السيرة النبوية جـ١ ص١٤٨ وما بعدها - وابن سعد جـ١ ص٨٣ - والطبرى جـ٢ ص٢٥١.

وكان يطعمهم أول ما يطعمهم قبل يوم التروية[1] بيوم بمكة، ويطعمهم بمنى وبعرفة وبجمع، فكان يثرد[2] لهم الخبز واللحمَ، والخبزَ والسمنَ، والسمنَ والسويقَ[3]، والسويق[4] والتمرَ، ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم، وكان هاشم يسمى عمرا، وإنما قيل له هاشم لهشمه الثريدَ بمكة، وكان أول من أطعم الثريدَ بمكة[5]. وكان أمية بن عبد شمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك، فشمت به ناس من قريش وعابوه، فغضب، ونافر[6] هاشما على خمسين ناقة سود الحدق[7] تنحر بمكة، وعلى جلاء عشر سنين، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحُمق[8]، وكان منزله عسفان[9]، وخرج مع أمية أبوهمهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهرى. فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعَلَم[10]

---

(١) يوم التروية: فى الحج وهو اليوم الثامن من ذى الحجة، وكان الحجاج يرتون فيه بالماء، قبل الذهاب إلى منى.

(٢) يثرد: يفت الخبز ثم يبله بالمرق أو اللبن أو أى سائل آخر.

(٣) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحِنْطة والشعير، وسمى بذلك لانسياقه فى الحلق.

(٤) (السويق) لم ترد فى المخطوطة [ك].

(٥) قصة إطعامه الثريد بمكة فيما يروى الرواة أن قريشًا أصابتها مجاعة فرحل هاشم إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق وقدم به مكة فأمر به فخبز له ونحر جزرًا، ثم اتخذ لقومه ثريدًا بذلك الخبز فسمى لذلك هاشمًا، وكان اسمه من قبل عمرًا.

انظر: ابن سعد جـ١ ص٧٥ و ٧٦، والطبرى جـ٢ ص٢٥١ و ٢٥٢.

(٦) نافر: خاصم أو فاجر.

(٧) الحدق: جمع الحدقة وهى السواد المستدير وسط العين.

(٨) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو من خزاعة.

انظر: ابن سعد جـ٦ ص٢٥.

(٩) عسفان: هى منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل قرية على بعد ثلاثين ميلا من مكة، وهى حد تهامة.

انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان جـ٦ ص١٧٣ و ١٧٤. والبكرى فى معجم ما استعجم جـ٣ ص٩٤٢ و ٩٤٣.

(١٠) علم: جبل.

مسافر، من منجد[١] وغائر[٢]، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين.

فكان هذا أول عداوة وقعت فى بنى هاشم وبنى أمية.

ولم يكن أمية فى نفسه هناك[٣]، وإنما رفعه أبوه وبنوه، وكان مضعوفًا، وكان صاحب عهار، يدل على ذلك قول نُفَيل بن عبد العُزَّى[٤] جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، حين تنافر إليه حربُ بن أمية وعبدُ المطلب بن هاشم، فنفر عبدُ المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

أبوكَ معاهرٌ وأبوه عفٌّ ... وذادَ الفيلَ عن بلدٍ حرام

وذلك أن أمية كان يعرض لامرأة من بنى زُهْرَةَ[٥]، فضربه رجل منهم (ضربة)[٦] بالسيف، وأراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زُهْرَة من مكة فقام دونهم قيس بن عدى السهمى[٧]، وكانوا أخواله وكان منيعَ الجانبِ شديدَ العارضة، حمى الأنف، أبىَّ النفس فقام دونهم[٨] وصاح «أصبح ليلًا» فذهبت

---

(١) المراد بالمنجد الذاهب إلى نجد أى السائر إلى الشرق أو الشمال الشرقى من مكة.

(٢) الغائر هو الذاهب إلى غور تِهامة وهو الشريط الساحلى للجزيرة على البحر الأحمر والمراد المتجه غربًا. انظر تعليقات بوزورث ص ١٢١.

(٣) يراد بظرف (هناك) الوارد فى النص أنه لم يكن بتلك المكانة التى يستطيع منها منافسة عمه هاشم، وقد يرد هذا اللفظ (هنالك) فنقول: إن (فلان) يقول كذا وكذا وليس بهنالك. والمراد أنه ليس بالمستوى الذى يسمح له بأن يقول ذلك.

(٤) نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رَزَاح بن عَدى بن كعب. انظر: الزبيرى فى «نسب قريش» ص ٣٤٦، ص ٣٤٨، وابن حزم، ص ١٥٠، ص ١٥٢.

(٥) هم بنو زهرة بن كلاب بن مرة، انظر: ابن حزم ص ١٢٨ - ١٣٥.

(٦) وردت فى المخطوطة [ب]، ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٧) قيس بن عدى بن سعد بن سهم. انظر ابن حزم، ص ١٦٥.

(٨) لم نستدل على هذا المثل فى كتب الأمثال العربية، ولكن ورد فى «فرائد اللآل فى مجمع الأمثال» للشيخ إبراهيم بن السيد بن على الأحدب الطرابلسى الحنفى جـ١ ص ٣٤ مثل آخر قريب منه وهو (أصبحْ =

مثلا. ونادى : ألا إن الظاعن[1] مقيم، ففى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة[2] :

مَهْلاً أُمىَّ فإنَّ البغى مهلكةٌ لا يكسيَنّك ثوبًا شره ذكر
تبدو كواكبهُ والشمسُ طالعةٌ يصب فى الكاس منه الصاب والمقرِ[3]

وصنع أمية فى الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب، زوج ابنه أبا عمرو بن أمية امرأته فى حياة منه - والمقْتيُّون فى الإسلام هم الذين أولدوا نساءَ آبائِهم واستنكحوهن من بعد (موتهم)[4]، وأما أن يتزوجها فى حياته، ويبْنى عليها وهو يراهُ، فإن هذا لم يكن قط، وأُمية قد جاوز هذا المعنى، ولم يرض بهذا المقدار، حتى نزل عنها له وزوجها منه، وأبو معيط بن أبى عمرو ابن أمية قد زاد فى المَقْت درجتين[5].

ثم نافر حرب بن أمية، عبد المطلب بن هاشم من أجل * يهودى كان فى جوار عبد المطلب، فما زال أمية يغرى به حتى قتل، وأخذ ماله فى خبرٍ طويل.

= ليلٌ) وله قصة أخرى، فقد قالته امرأة من طيىء تزوجها امرؤ القيس فكرهته من ليلته، ويقال فى الليلة الشديدة التى يطول فيها الشر، ويضرب أيضًا فى استحكام الغرض من الشىء.

(١) الظاعن : الراحل.

(٢) وهب بن عبد مناف بن زهرة، جَدُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه، الزبيرى ص ٢٦١.

(٣) المقر : الشىء المر أو الحامض.

(٤) فى المخطوطة [و] وردت (موتهن) وفى باقى المخطوطات وردت (موتهم) وهو الصحيح حيث إن الضمير يعود على آبائهم وليس على نساء آبائهم.

(٥) وردت العبارة التالية فى هامش المخطوطتين [و، ك] كما وردت فى المخطوطة [ت] داخل مربع إشارة إلى أنها ليست فى المتن : (وقد روى سفينة عن أم سلمة أنه قال لها إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقالت كذبت استاه بنى الزرقاء، بل هم ملوك ومن شر الملوك ويقال إن الزرقاء هذه هى أم بنى أمية بن عبد شمس واسمها أرنب وكانت فى الجاهلية من صواحب الرايات) ا.هـ. وصواحب الرايات هن البغايا فى الجاهلية.

[عداوتهم للرسول والإسلام]*

وتمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بنى هاشم، أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يدعو قريشًا إلى توحيد الله جلت قدرته، وترك ما كانت تعبد من دون الله، فانتدب لعداوته صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى أمية.

[أبو أُحَيْحَة]*

منهم أبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أمية حتى هلك على كفره بالله فى أولِ سنةٍ من الهجرة أو فى سنةِ اثنين وهو يحاد الله ورسوله.

[عقبة بن أبى مُعيط]*

ومنهم عُقْبَة بن أبى مُعيط أَبَان بن عمرو بن أمية، وكان أشد الناس عداوةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأذى، إلى أن قاتل يوم بدر فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أُسر، فأمر بضرب عُنقه فجعل يقول: يا ويلتى علام أُقْتَل (يا معشر قريش أأُقْتَل)[1] من بين هؤلاء. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لعداوتك لله ولرسوله. فقال: يا محمد، منك أفضل، فاجعلنى كرجل من هؤلاء من قومى وقومك، يا محمد من للصبية؟ قال: النار، وضرب عنقه.

*** العناوين من عندنا.

(١) العبارة بين القوسين وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

وقيل إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر به فصُلِبَ فكان أولَ مصلوبٍ فى الإسلام[١].

وقال عطاء (عن)[٢] الشعْبى : إن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال لعُقْبة ابن أبى مُعيط يوم بدر : والله لأقتُلَنَّك. فقيل أتقتله من بين قريش؟ قال : نعم، إنه وطئ على عنق وأنا ساجد، فما رفعت حتى ظننت أن عينى قد سقطت، وجاء يومًا وأنا ساجد بسلَى[٣] شاة فألقاه على رأسى، فأنا قاتلهُ[٤].

[الحكم بن أبى العاص]*

ومنهم الحكم بن أبى العاص بن أُمية. وكان عارًا فى الإسلام، وكان مؤذيًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، يشتمه ويسمِعه ما يكره، فلما كان فتح مكة أظهر الإسلام خوفًا من القتل، فلم يحسن إسلامه، وكان مغموصًا[٥] عليه فى دينه.

---

(١) وردت هذه الرواية عند البلاذرى، أنساب الأشراف جـ١ ص١٤٧ و١٤٨. ولم نعثر على قصة الصلب فى أى من المصادر الأخرى.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (وقال عطاء بن الشعبى) وفى باقى المخطوطات (وقال عطاء عن الشعبى) وهو الصحيح.

وعطاء هو عطاء بن السائب بن مالك الكوفى وهو الوحيد الذى روى عن الشعبى من الذين يحملون اسم عطاء.

انظر ابن حجر العسقلانى فى تهذيب التهذيب جـ٧ ص٢٠٣.

أما الشعبى فهو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار من حمير وهو كوفى.

انظر : ابن خلكان وفيات جـ٣ ص١٢ - ١٦ - وابن حَجَر العسقلانى جـ٥ ص٦٤ - ٦٩.

(٣) السَّلَى : غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه.

(٤) وردت الرواية كلها فى أنساب الأشراف للبلاذرى جـ١ ص١٤٧ و١٤٨. وانظر كذلك رواية الأصفهانى فى الأغانى جـ١ ص١٨ - ٢١.

* العنوان من عندنا.

(٥) ورد فى هامش المخطوطتين [و.ك] (غمصه، يغمصه، غمصًا : حقره، ورجل مغموص عليه فى دينه أى مطعون عليه) أهـ.

ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بـن أبى العـاص بـن أميـة وكان يطالعُ * الأعرابَ والكفارَ بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى ذاتَ يومٍ، مشى الحكمُ خلفهُ فجعل يختلج بأنفهِ وفمِهِ كأنه يُحاكى رسولَ الله صلى الله عليـه وسـلم، ويتفـكك ويتمايل فالتفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فرآهُ، فقـال لـه : كُنْ كذلك، فما زال بقية عمره على ذلك.

واطلع يومًا على رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وهـو فى حُجْـرة بعضِ نسائه، فخرج إليه بعَنَزَة[1]، فقال : من عذيرى فى هـذا الـوزغة[2] لـو أدركتـه لفقأت عينه[3].

وقال زهير بن محمد عن صالح عن[4] أبى صـالح قـال : حَـدَّثَنى نـافع (بن)[5] جبير بن مُطْعِم عن أبيه، قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم، فمر الحكم بن أبى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسـلم : «ويـل لأمتى ممـا فى صلب هذا»[6].

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم لعنه وما ولد وغرّبه عن المدينة، فلم يـزل

---

(١) العَنَزَة (بفتح العين والنون والزاى) أطول من العصى وأقصر من الرمح فى أسفلها زج كزج الرمح.

(٢) الوزغة : نوع من الزواحف، وهى الأبراص السامة.

(٣) وردت الرواية عند البلاذرى فى أنساب الأشراف جـ١ ص١٢٤ ص١٥١.

(٤) فى المخطوطة [ب] (عن صالح بن أبى صالح) وفى المخطوطة [و] (عن صـالح عـن أبى صـالح) وهـو الصحيح لأن صالح روى عن أبيه، ولكنه لم يرو عن نافع وهو صالح بن أبى صالح ذكوان السمان أبوعبدالرحمن المدنى.

انظر : ابن حجر جـ ٤ ص ٣٩٤.

(٥) فى المخطوطة [و] (حدثنى نافع عن جُبَيْر بن مُطْعِم عن أبيه) وفى باقى المخطوطات (حدثنى نافع بن جبير ابن مطعم عن أبيه) وهو الصحيح لأن المعنى الأول لا يستقيم. انظر ترجمة نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِى بن نوفل فى : ابن سعد جـ٥ ص٢٠٦ و٢٠٧ – وابن حَجَر جـ١٠ ص٤٠٤، وترجمة جبيـر بـن مـطعم فى : ابـن عبد البر (القسم الأول) ص٢٣٢ و٢٣٣ هـ وابن حَجَر جـ٢ ص٦٣.

(٦) لم نتمكن من الاستدلال على هذا الحديث بمراجعة فنسنك وآخرون، المعجم المفهـرس لألفـاظ الحـديث النبوى، فنسنك : مفتاح كنوز السنة.

خارجًا عنها بقية حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما. فلما استخلف عثمان رضى الله عنه، رده إلى المدينة وولده فكان ذلك مما أنكره الناس على عثمان، وكان أعظم الناس شؤمًا على عثمان، فإنهم جعلوا إدخاله المدينةَ بعد إطرادِ النبى إياه، وبعد امتناع أبى بكر وعمر من ذلك، من أكبر الحُجَج على عثمان رضى الله عنه، ومات فى خلافته، فضرب على قبره فسطاطًا[1].

وقد قالت عائشةُ رضى الله عنها لمروان بن الحكم: أشهدُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صُلبه[2].

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم[3]:

إن اللعين أباك فارم عظامه إن ترم ترم مخلَّجًا مجنونا
يضحى خميص[4] البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

---

(١) أورد البلاذرى هذه الرواية فى أنساب الأشراف جـ١ ص١٥١. كما أورد الطبرى خبر رد عثمان إياه إلى المدينة جـ٤ ص٣٤٧.

وقد ذكر بوزورث فى تعليقاته على ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم حول موضوع الفسطاط الذى يقال إن عثمان قد ضربه على قبر الحكم: إنَّ ضربَ الفساطيطِ والقِباب على قبور الموتى كان عادة جاهلية انتقلت إلى الإسلام، فقد كان الجاهليون إذا توفى رجل عزيز عليهم يضربون فسطاطًا أو قبة على قبره تعبيرًا عن حزنهم، وإظهارًا لقدره.

انظر: ترجمة بوزورث ص١٢٣ – وقد أشار جولد تسيهر كذلك فى دراساته الإسلامية إلى هذه الظاهرة انظر:

Jgnaz Goldziher, Muhammedanis chestudein, I, 254.

(٢) انظر: ابن عبد البر (القسم الأول) ص٣٦٠.

(٣) وردت الأبيات بعضها فى ديوان عبد الرحمن بن حسان الأنصارى، طبعة بغداد ١٩٧٦ ص٦٣، ووردت عند ابن عبد البر (القسم الأول) ص٣٦٠ والبلاذرى فى أنساب الأشراف جـ١ ص١٥١.

انظر كذلك: ترجمة بوزورث للنزاع والتخاصم ص١٢٣ وترجمة فوس (Vos, Yerardus) الألمانية للنزاع والتخاصم فى تعليقه على هذه الأبيات.

(٤) خميصُ البطن: جائع خالى البطن.

[مروان بن الحكم]*

وكان الحكم هذا يقال له طريد رسول الله ولعينه، وهو والد مروان بن الحكم الذى صارت الخلافةُ إليه بالغلبةِ، وتوارثها بنوه من بعدِه، وكان رجلا لا فقهَ له، ولا يعرف بالزهدِ، ولا بروايةِ الآثار، ولا بصحبة، ولا ببعد همة، وإنما ولى رستاقًا[1]، من رساتيق درابجرد[2]* لابن عامر[3]، ثم ولى البحرين لمعاوية. وقد كان جمع أصحابه ومن تابعه ليبايع ابن الزبير حتى رده عبيد الله ابن زياد.

وقال يوم مرج راهط[4] والرءوس تنبذ عن كواهلها[5]:

وماذا لهم غير (حين)[6] النفو   س أى غلامى قريش غلب

وهذا كلام من لا يستحق أن يلى ربعًا من الأرباع ولا خمسًا من

---

* العنوان من عندنا.

(١) رستاق: موضع فيه مزارع أو بيوت مجتمعة، وهو قسم من الأقسام الإدارية فى التنظيم الإدارى الإيرانى وقد أقره العرب عندما فتحوا فارس.

(٢) درابجِرْد: بفارس. انظر: ياقوت الحموى جـ٤ ص٤٦.

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى. انظر: ابن سعد «طبقات» جـ٥ ص٤٤ - ٤٩.

(٤) يوم مرج راهط: الموقعة التى وقعت بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم عند مرج راهط عندما خلع الضحاكُ طاعةَ بنى أمية وأظهر البيعة لابن الزبير وقد وقعت سنة ٦٤هـ.
انظر: الطبرى جـ٥ ص ٥٣٥ وما بعدها.

(٥) أورد الطبرى هذا البيت فى حوادث سنة ٦٤هـ منسوبًا إلى مروان بن الحكم عندما مر برجل قتيل فى المعركة، وفى رواية الطبرى اختلاف فى الشطر الثانى فقد أورده على النحو التالى:

وماذا لهم غير حين النفو   س أى أسيرى قريش غلب

الطبرى جـ٥ ص٥٣٨.

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (حبس) وفى باقى المخطوطات (حين). والحين هو الهلاك أو المحنة.

الأخماس[١]. (ومما يروى عن معاوية وعناده للمسلمين ومعاكسته للإسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم كان بعث إلى أهل فدَك فى سنة سبع من الهجرة يدعوهم إلى الإسلام فصالحوه على نصف القرية، فقبل منهم ذلك وصار نصف فدَك خالصًا لرسول الله لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل. وفعل مثله الخلفاء الراشدون، فلما ولى معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم هذا فوهبها مروان لبنيه)[٢]، فكان مروان هذا[٣] أول من شق عصا الإسلام بغير تأويل. (وقال لخالد بن يزيد بن معاوية وأم خالد[٤] يومئذ عنده، اسكت يا بن الرطبة، فكان حتفه فى هذه الكلمة)[٥].

---

(١) الأرباع والأخماس هى الأقسام القبلية التى قسمت إليها الأمصار الإسلامية الأولى، فكان المسلمون إذا اختطوا بمصرٍ قسموه أرباعًا أو أخماسًا واختصوا كل قبيلة بقسم، فالكوفة مثلا قسمت إلى أرباع والبصرة إلى أخماس وأرباع الكوفة هى ربع أهل العالية، وربع تميم، وربع همدان، وربع ربيعة أى بكر بن ربيعة وكندة ومَذْحج وأسد، وأخماس البصرة هى خُمس أهل العالية وخمس تميم، وخمس بكر بن وائل وخمس عبد القيس وخمس الأزد.

انظر: Louis Massignon, Explication du plan du Kufà Mélanges Maspéro III, Orient Islamique, Le Caire, 1945-40 pp. 349 ff.

وقد أعيد نشر هذا البحث فى مجموعة الأعمال الصغرى للويس ماسينيون.

Opera Minora, Paris, 1969, III, pp. 39 ff.

وكذلك انظر:

Charles Pellat, Le millieu Basrien et la formation du Gahiz, Paris, 1953, p. 23-24.

(٢) الفقرة بين القوسين وردت فى النص العربى المطبوع كما وردت بهامش المخطوطة [ك] (ص ١٣). وقد تكون زيادة من الناسخ أو تكون واردة فى الأصل المنقول عنه تلك المخطوطة، ولم نستطع الوصول إليه، ولم يورد بوزورث ترجمة لهذه الفقرة لأنها غير واردة فى الأصل الذى اعتمد عليه وهو مخطوطة ليَدْن.

(٣) وردت (هذا) فى المخطوطة [و] فقط.

(٤) أم خالد هى: أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة تزوجها يزيد بن معاوية وأنجبت له معاوية وأبا سفيان وخالدًا - وبه تكنى - وتزوجها مروان بن الحكم بعد وفاة يزيد. انظر: الزبيرى ص ١٢٨ و ١٢٩ وابن حزم ص ٧٧.

(٥) هذه العبارة لم ترد فى المخطوطة الأم ووردت فى باقى المخطوطات.

وقد ذكر ابن عبد البر فى ترجمة مروان بن الحكم (القسم الرابع) ص ١٣٨٧ - ١٣٩٠ الخبر الوارد فى هذه العبارة، ويروى أن أم خالد سمت مروان بسبب هذه الكلمة (القسم الرابع) ص ١٣٨٩، ويعارض لامانس هذه الفكرة. انظر: بوزورث التعليق رقم ٢٨.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية: من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن الحنفية، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال: تسلط الطلقاء ولعناء رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] على سائر الناس، والذى نفسى بيده إنها لأمور لا يقرُّ قرارُها.

[عتبة بن ربيعة]*

ومنهم عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية، أحد من عادى الله ورسوله إلى أن قتل ببدر كافرًا، قتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه، وعُتْبة هذا هو أبو هند بنت عُتْبة التى لاكت كبد حمزة (بن عبد المطلب)[٢] رضى الله عنه، ثم لفظتها، واتخذت مما قطعت منه، مَسْكين[٣]، ومِعْضَدين[٤]، وخَدَمَتَين[٥]، وأعطت وحشيًّا[٦] قاتل حمزة حليًّا كان عليها من ورِق[٧] وجَزْع[٨]،

---

(١) يقصد بالطلقاء الإشارة إلى العبارة التى قالها الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل مكة يوم الفتح «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فأعتقهم بذلك بعد أن كانوا له فيئا بحق الفتح. فصار أهل مكة يسمون الطلقاء.

انظر: الطبرى جـ٣ ص٦. أما قوله (لعناء رسول الله) فإشارة إلى لعن الرسول صلى الله عليه وسلم لجد عبد الملك بن مروان، وهو الحكم بن أبى العاصى.

* العنوان من عندنا.

(٢) (بن عبد المطلب) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٣) مَسكين: الأساور والخلاخيل من القرون أو العاج أو نحوها.

(٤) مِعْضَدَين: كل ما يحيط بالعضد من حلى وغيرها.

(٥) خَدَمَتَيْن: الخلخال أو كل حلقة محكمة.

(٦) وحشى بن حرب الحبشى. انظر ترجمته فى ابن سعد «طبقات» جـ٧ ص٤١٨ و ٤١٩. وابن عبد البر (القسم الرابع) ص١٥٦٤ و ١٥٦٦.

(٧) ورق بكسر الراء هى الفضة المضروبة أو غير المضروبة.

(٨) جَزْعٌ: نوع من العقيق يعرف بخطوط متوازنة مستديرة مختلفة الألوان.

وخواتيم ورِق كانت فى أصابع رجليها، كل ذلك شماتًا بحمزة رضى الله عنه من أجل أنه قتل أباها عتبة رأس الكفر (فى)[1] يوم بدر، وقيل بل قتله عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب[2].

وأنشدت هند[3] :

عَيْنَىَّ جُودَا بدمع سَرِب على خير خَنْدِف[4] لم ينقلب

تداعى به رهطة قَصَّرة[5] بنو هاشمٍ وبنو المطلب

وقيل إن عليًا رضى الله عنه، لما فرغ من الوليدِ بن عُتْبة مَالَ مع عُبيدة على عُتْبة فقتلاه جميعًا[6].

---

(١) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٢) وردت فى المخطوطة [ب] (عُبَيْدَة بن الحارث بن عبد المطلب) والصحيح ما ورد فى المخطوطة [و] وعبيدة بن الحارث بن المطلب من بنى المطلب بن عبد مناف.

انظر: ترجمته فى ابن سعد طبقات جـ٣ ص٥٠.

(٣) ورد البيتان فى سيرة ابن هشام جـ٢ ص٢٩٩ و ٣٠٠، ضمن مجموعة من الأبيات باختلاف فى بعض الألفاظ.

(٤) خَنْدِف - فيما يقول النسابة - هى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة امرأة إلياس بن مضر، وقد أطلق اسمها على بنيها فسار يقال لهم قبائل خَنْدِف وربما كانت الحقيقة أن خَنْدِف اسم تجمع قبلى كبير اقتصر مع الزمن على أبناء إلياس بن مُضَر، وهو الفرع الذى انحدرت منه قبيلة كنانة ثم قريش، وقد وردت فى سيرة ابن هشام خناف، وهو الرجل الغضوب وربما كان ما ورد فى سيرة هشام هو الصحيح.

(٥) القَصَّرة أصل الشجرة وتقال فى ابن العمَّة وابن الخالة وابن الخال وذكر بوزورث فى تعليقاته أنهم الأقارب من جهة الأم.

(٦) هناك أكثر من رواية لواقعة قتل عُتْبة.

انظر: الواقدى فى المغازى ص٦٣، ابن سعد «طبقات» جـ٢ ص١٧ و ٢٤ والطبرى جـ٤٢٦ و ٤٤٥ و ٤٤٦.

وحول عُتْبة بن ربيعة يقول محمدُ بن حبيب النسابة فى كتاب المحبر، إن عُتْبة بن ربيعة كان واحدًا من المقتسَمين الذين أشار إليهم القرآنُ الكريم فى سورة الحِجْر (١٥) آية ٩٠، وقال ابن حبيب إن عددهم من بين كفار قُريش كان سبعة عشر رجلا، وقد ورد فى بعض كتب التفسير أن المقصود بالمقتسمين فى الآيةِ الكريمةِ اليهودُ والنصارى الذين أخذوا بعض الكتاب وتركوا بعضه، إلا أن هشام يذكر نفس رواية محمد بن حبيب دون تحديد لعتبة ضمن المقتسمين.

انظر: ابن هشام جـ١ ص٢٧١ - ٢٧٣، ابن حبيب، المحبر ص١٦٠ - ١٦١.

وانظر كذلك: مختصر تفسير ابن كثير، جـ٢ ص٣١٨ - ٣٢٠.

مختصر تفسير الطبرى للتجيبى جـ١ ص٣٥٥.

وهِند هذه أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ فتح مكة بقتلها، فأسلمت، ولما حضرتْ مع النساء لتبايع بيعةَ الإسلام كان مما قال لهن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم : ولا تَقْتُلْنَ أَوْلادَكُنَّ. فقالت : (رَبَيناهُم)[1] يا محمد صغارًا (وقَتلتَهم)[2] كِبارًا.

وهي أم معاويةَ بن أبي سفيان الذى قاتل على بن أبي طالب رضى الله عنه وأخذ الخلافةَ من الحسن بن على رضى الله عنه، واستلحقَ زيادَ بن سُمَيَّة من زنيةٍ. واستخلفَ على الأمةِ ابنه يزيد القُرُود، ويزيد الخُمُور.

[الوليد بن عتبة]*

ومنهم الوليد بن عُتبة بن ربيعة، وقُتل ببدر كافرًا، قَتَله علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه، والوليدُ هذا هو خالُ معاوية.

[شيبة بن ربيعة]*

ومنهم شَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس، عمُّ هندٍ، أم مُعاوية، وكان يجتمعُ مع قريش فيما يكيدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من الأذى وقَتَله اللهُ يوم (بدرٍ) فيمن قُتِلوا من أعدائه.

(١) فى جميع الأصول (ربيناهن) وهو خطأ.

(٢) فى جميع الأصول (قتلتهن) وهو خطأ، وقد وردت العبارة عند الطبرى على النحو التالى : «قد ربيناهم صغارًا وقتلتهم يوم بدر كبارًا، فأنت وهم أعلم» الطبرى جـ٣ ص٦٢.

* العنوان من عندنا.

[أبو سفيان صخر]*

ومنهم (أبو سُفْيَان صَخْر بن حَرْب بن أُميَّة)[1]، قائدُ الأحزابِ الذى قاتل رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يوم (أُحد) وقَتل من خيارِ أصحابهِ سبعينَ (ما بين مهاجرى وأنصارى)[2]، منهم أسدُ الله حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه.

وقاتلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم (فى)[3] يومِ الخَنْدَق وكتب إليه: «باسمِك اللهم، أحلفُ باللاتِ[4]، والعُزَّى[5] و (أساف ونائِلَة)[6] وهُبَل[7]، لقد سرتُ إليك أريد استئصالكم فأراك قد اعتصمتَ بالخندق، فكَرِهْتَ لقاءنا ولك منى كيومِ أُحد».

وبعث بالكتاب مع أبى أُسامة (الجُشَمى)[8] فقرأه على النبى صلى الله عليه

---

* العنوان من عندنا.

(١) وردت فى المخطوطة [و] (أبو سفيان بن صخر بن حرب) وهو خطأ، وقد وردت فى باقى المخطوطات (أبو سفيان صخر بن حرب) وهو الصحيح. وورد الاسم خطأ كذلك على هامش المخطوطة [و] وصححناه.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (من مهاجرى وأنصار) وفى باقى المخطوطات (ما بين مهاجرى وأنصارى).

(٣) (فى) لم ترد فى المخطوطة [و]، ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) اللاَّت: صنم كان يعبد فى الجاهلية وهو صخرة مربعة بالطائف، الكلبى «كتاب الأصنام» ص ١٦ و ١٧، ص ٢٧، ص ٤٣.

(٥) العُزَى: شجرة كانت تعبدها قريش وهى أعظم معبوداتهم، الكلبى فى «الأصنام» ص ١٧، ص ٢٧، ص ٤٤.

(٦) وردت فى جميع المخطوطات (ساف ونائلة) والصحيح ما أثبتناه، وهما صنمان على صورة تمثالى رجل وامرأة وضعا بجوار الكعبة وعبدتها قريش وخزاعة، الكلبى «كتاب الأصنام» ص ٩، ص ٢٩.

(٧) هُبَل: صنم على صورة إنسان مصنوع من العقيق الأحمر وكان أعظم الأصنام بجوف الكعبة، «الأصنام» للكلبى ص ٢٧ و ٢٨.

(٨) ورد فى المخطوطة [و] (أبو أسامة الحبشى) وفى المخطوطة [ط] (أبو أسامة الجهشمى) وفى المخطوطتين [ت و ك] (أبو أسامة الجُشَمى) وهو الصحيح.

وسلم أُبَىُّ بن كعب رضى الله عنه، فكتبَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« قد أتانى كتابُك، وقديمًا غرَّكَ يا أحمق بنى غَالب وسفِيهَهُم باللهِ الغرور، وسيحول الله بينك وبين ما تُريد، ويجعل لنا العاقبةَ لِيَأْتِيَنَّ عليك يومٌ أكسرُ فيه اللاّت والعُزّى و (إسافَ)[١] ونائلةَ وهُبَلَ يا سفيه بنى غالب »[٢]. ولم يزل يُحاد اللهَ ورسوله حتى سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة، فأتى به العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أرْدَفه، وذلك أنه كان صديقه (ونديمه)[٣] فى الجاهليةِ، فلما دخل (به)[٤] على رسولِ الله ﷺ سأله أن يُؤَمِّنَه، فلما رآه ﷺ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال له : وَيْلَكَ يا أبا سُفْيان، ألم يأنِ لك أن تعلمَ أنْ لا إلهَ إلا الله تعالى[٥]، فقال : بأبى أنت وأُمى ! ما أوْصَلَك وأَحْلَمَك[٦] وأكْرَمك، والله لقد ظننت أنه لو كان مع اللهِ غَيْرُه لقد أَغْنى عنى شيئًا، فقال : يا أبا سُفْيَان ألم يأنِ لك أن تعلمَ أنى رسولُ الله تعالى[٧]، فقال : بأبى أنت وأمى ! ما أوصلك وأحلمك[٨] وأكرمك، أما هذه ففى النفس منها شىء. فقال له العباس : وَيْلَكَ اشْهد بشهادة الحق قبل أن تُضْرب عُنقُك، فشَهِدَ وأسلَمَ.

فهذا حديثُ إسلامه « كما ترى »[٩]، واخْتلِفَ فى حُسْن إسلامه، فقيل إنه شَهِد (حُنَيْنًا) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأزلام معه يَسْتَقسِمُ

---

(١) ورد فى جميع المخطوطات (ساف).

(٢) انظر : محمد حميد الله « مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة » ص ٢٦ و ٢٧.

(٣) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) إضافة من عندنا.

(٥) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٦) فى مخطوطات [الفئة ب] وردت (وأجملك).

(٧) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٨) فى المخطوطة [ب] وردت (وأجملك).

(٩) (كما ترى) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

بها، وكان كهفًا للمنافقين، وأنه كان فى الجاهلية زِنْديقًا[1]، وفى خبر عبد الله بن الزُّبَير أنه رآه يومَ (اليرموك) قال: فكانت الرومُ إذا ظهرت قال أبو سفيان: إيهِ بنى الأصفر[2]! فإن كَشَفَهم المسلمون قال أبو سفيان[3]:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الرو م لم يبق منهم مذكور

(فحدث به ابنُ الزُّبير أباه، فلما فتح الله على المسلمين، فقال الزبير: قاتله الله يأبى إلا نفاقًا، أوَلسنا خيرًا له من بنى الأصفر)[4].

(وذكر عبد الرزاق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول عن ابن أبْجر)[5]

(١) الزنديق - كما وردت فى القاموس - من يؤمن بالزندقة، والزندقة فى الأصل هى القول بأزلية العالم، وأطلقت على الديانات الفارسية، ثم تُوسع فى إطلاق اللفظ بعد ذلك فصار يطلق على كل شاكٍ أو مُلحد.

وقد أورد بُوزوورث فى ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم رأى المستشرق كيستر فى هذا الموضوع نقلا عن:

Kister, Al-Hira, Some notes on its relations with Arabia (Arabica, XV (1968) pp. 144, 145).

وذهب فيه إلى أن المزدكية التى انتشرت فى إيران فى العصر الساسانى فى أيام كسرى قوباذ (٤٨٨ - ٥٣١م) - ربما تكون قد انتشرت بين العرب الضاربين جنوب شرْق العراق وخاصة رؤساء لخم وكنْدَة، وربما تكون الزَّنْدَقة قد وصلت إلى مكةَ عن طريق العلاقات التجارية بينها وبين بلادِ فارس.

وهذا رأى افتراضى، ومن المحتمل أن يكون اتهامُ أبى سفيان بالزندقة من جُملةِ ما وصم به من المساوئ أثناء العصر العباسى.

(٢) كان العرب يطلقون على الروم اسم «بنو الأصفر» وقد أورد ابن خلكان جـ٦ ص ١٢٦، تفسيرًا لهذا الاسم، والراجح أنهم كانوا يُلقبون بهذا اللقب لبياض لونهم وغلبة الشقرة فيهم.

(٣) هذا البيت من جُملة أبيات لعَدى بن زيد العبادى انظر ديوان عدى، ص ٨٤. وقد ذكر فى طبعة المطبعة الإبراهيمية بهامش ص٢٩ من جلة أبيات للنعمان بن أمرئ القيس.

(٤) اختلفت هذه العبارة بين المخطوطات وقد وردت هكذا فى المخطوطة [ب] أما فى المخطوطة [و] فقد وردت: (فحَدث به ابنُ الزبير وقال قاتله الله يأبى إلا نفاقًا أو لسنا خيرًا له من بنى الأصفر).

(٥) ورد السند فى المخطوطة [ب] على الصورة التى أوردناها فى النص، أما فى المخطوطة [و] فقد ورد على النحو التالى:

(ذكر عبد الرزاق عن ابن المبارك بن مغول عن ابن بحر) وهو خطأ من الناسخ على ما يبدو. فابن المبارك هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى، وقد رَوَى عن مالك وروى عنه عبد الرزاق بن عمر بن بَزيغ. انظر ترجمة ابن المبارك عند ابن حَجَر العسقلانى جـ٥ ص٣٨٢، وترجمة عبد الرزاق نفس المصدر جـ٦ ص ٣١٠.

ومالك بن مغول هو مالك بن مغول بن عاصم بن غُزَية بن حارثة البجلى، ويكنى بأبى عبد الله الكوفى انظر المصدر السابق جـ١٠ ص٢٢. وابن أبجر هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر، نفس المصدر جـ٦ ص٣٩٣، وفى الطبرى جـ٣ ص٢٠٩، (مالك عن ابن الحر).

قال : لما بُويع لأبى بكر الصديق رضى الله عنه، جاء أبو سفيان إلى على رضى الله عنه فقال : «أغَلَبَك على هذا الأمر أقل بيت فى قريش، أما والله لأملأنها خَيْلا ورجَالا إن شئتَ» فقال على : «ما زلتَ عدوَّ الإسلام[1] وأهلِه، فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئًا، إنا رأينا أبا بكر لها أهلا».

وذكر المدائنى عن أبى زكريا العَجْلانى عن (أبى حازم)[2] عن أبى هريرة قال : «حج أبو بكر رضى الله عنه ومعه أبو سُفْيَان (بن حرب فكلم أبو بكر أبا سفيان فرفع صوتَه، فقال أبو قحافة : اخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر : يا أبا قحافة إن الله بنى الإسلام بيوتًا كانت فى الجاهلية غير مَبْنية، وهدم به بيوتًا كانت فى الجاهلية * مبنية، وبيت أبى سفيان مما هُدِم)[3]. (فليت شعرى بعد هذا بأى وجه يُبْنى بيت أبى سفيان)[4] بعدما

---

(١) هكذا وردت فى المخطوطة [و]، وفى المخطوطة [ب] (ما زلتَ عدوًّا للإسلام... إلخ) ووردت العبارة فى الطبرى جـ٣ ص٢٠٩ (طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذاك شيئًا).

(٢) فى المخطوطة [و] (أبى حاتم) وفى المخطوطة [ب] (أبى حازم) وهو الأرجح، هذا والمعروفون من رجال الحديث باسم أبى حاتم ثلاثة :

[أبو حاتم المزنى الصحابى، ولم يعرف عنه سوى حديث واحد رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، انظر : ابن عبد البر، جـ٤ ص١٦٢٥ وابن حَجَر جـ١٢ ص٦٣ و ٦٤.

وأبو حاتم أشهل بن حاتم الجُمَحى البصرى ت ٢٠٨ هـ ولم يعاصر أبا هريرة (ت، ٥٨ هـ تقريبا). انظر : ابن حَجَر جـ١ ص٣٦٠ و ٣٦١.

وأبو حاتم الرازى (محمد بن إدريس الحنظلى) وهو أحدُ أئمة المحدثين وُلد سنة ١٩٥ هـ، ولم يعاصر أبا هريرة هو الآخر. انظر ترجمته : ابن حجَر جـ٩ ص٣١، ص٣٤.

أما من كانت كنيتهم (أبو حازم) فكثيرون. انظر : ابن حجر جـ١٢ ص٦٤ : ص٦٦. والأرجح أن يكونَ أحد اثنين عُرِف عنهما رواية الحديث عن أبى هريرة وهما : [أبو حازم الأشْجَعى] (سَلْمان مولى عَزة الأشجعية) وقد توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز، انظر ابن سعد جـ٦ ص٢٩٤، وابن حَجَر جـ٤ ص١٤٠ و جـ١٢ ص٦٤.

[وأبو حازم التّمار وهو على الأرجح دينار مولى أبى رُهْم الغفارى وهو من صغار التابعين. انظر : ابن عبد البر جـ٤ ص١٦٢٦، وابن حجر جـ١٢ ص٦٥. وانظر كذلك فى ابن حجر ترجمة سلَمة بن دينار (أبو حازم الأعرج) جـ٤ ص١٤٣ وجـ١٢ ص٦٤.

(٣) وردت العبارة بين القَوْسين على النحو التالى فى المخطوطة [و] : (فرفع صوتَه أبو سفيان، فقال أبو قحافة : إن الله بنى بالإسلام بيوتًا كانت غير مبنية وهدم بيوتًا كانت فى الجاهلية مبنية وبيت أبو سفيان مما هُدم) وما أثبتناه فى المتن هو ما ورد فى المخطوطة [ب].

(٤) وردت هذه العبارة فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

هلمه الله تعالى[١].

وروى عن الحسن أن أبا سفيان دَخَلَ على عُثْمانَ رضى الله عنه حين صارت الخلافةُ إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تَيْم وعَدِى فأدرها كالكرة - وفى رواية فَتَزَقَّفوها[٢] تَزَقُّف الكرة[٣] - واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك وما أدرى[٤] ما جنة ولا نار. فصاح به عثمان رضى الله عنه: قم فعل الله بك وفعل.

وأبو سفيان هذا هو أبو معاوية ولم يزل بعد إسلامه يعد[٥] هو وابنه (معاوية)[٦و٧] من المؤلفة[٨].

[معاوية بن المغيرة]*

ومنهم معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية، وهو الذى جدعَ أنفَ حمزة، ومَثَّل به فيمن مَثَّل، فلما انهزم يوم أحد دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه ليجيره، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بطلبه، فأخرج

---

(١) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٢) تَزَقُّف: تزقف الكرة كتلقفها، والترقف هو أخذ الكرة باليد.

وقد أشار بوزورث فى تعليقاته على ترجمته الإنجليزية إلى أن العبارة وردت فى هامش مخطوطة ليدن (فتزقفوها تزقف الكرة) على حين وردت فى هامش مخطوطة استراسبورج (فتلقفوها تلقف الكرة).

(٣) عبارة: (وفى رواية فتزقفوها تزقف الكرة) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (ما) وفى باقى المخطوطات (لا).

(٥) (يعد) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٦) حول أخبار أبى سفيان انظر: الأصفهانى فى الأغانى، جـ٦ ص٣٥١ - ص٣٥٦.

(٧) (معاوية) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و] فقط.

(٨) (المؤلفة قلوبهم) هم جماعة من سادات العرب عمل الرسولُ صلى الله عليه وسلم فى أول الإسلام على كسبهم وتألفهم بإعطائهم من الصدقات والمغانم لكى يقتنعوا بفضل الإسلام ويرغبوا من وراءهم فى الدخول فيه ولئلا تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم على أن يكونوا أعوانا لأعداء المسلمين، وقد كان أبو سفيان ومعاوية من ضمن المؤلفة قلوبهم. انظر: ابن هشام جـ٤ ص٩٠.

* العنوان من عندنا.

من دار عثمان وأُتِىَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوهبه لعثمان وأقسمَ لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها لَيُقْتَلَنَّ، فجهزه عثمان وسار فى اليوم الرابع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن معاويةَ أصبح قريبًا لم يَنْفُذْ، فاطلبوه واقتلوه، فأصابوه، فأخذه زيدُ بن حارثة وعمارُ بن ياسر فقتلاه وقيل بل قتله على رضى الله عنه.

ومعاوية هذا هو أبو عائشة أم عبد الملك بن مروان، فعبدُ الملك بن مروان أعرقُ الناس فى الكفر، لأن أحد أبويه الحكم بن أبى العاصى لعينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده، والآخر معاوية بن المغيرة.

[حمالة الحطب]*

ومنهم حَمَّالة الحطب واسمها أم جميل بنت حرب (بن أمية)[1]، كانت تحمل أغصان العُضَاة[2] والشوك فتطرحها على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. قاله الضَحَّاكُ عن ابن عباس[3].

وقال مجاهد: حَمَّالةُ النميمةِ تَحْطُبُ على ظهرها، وإياها عَنِى الله تعالى بقوله فى سورة ﴿تَبَّتْ يدا أبى لهب﴾، ﴿وامرأته حَمالة الحطبِ فى جيدها حبل

---

* العنوان من عندنا.

(١) لم ترد (بن أمية) فى المخطوطة [و]، ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) ورد فى هامش المخطوطة [و] (العُضاة وهو كل شجر له شوك).

(٣)وردت فى تعليقات بوزورث على ترجمته الإنجليزية لنص النزاع والتخاصم إشارة إلى دراسة قام بها المستشرق U. RUBIN وعنوانها «أبو لهب والسورة ١١١ ABU-LAHAB AND SURA CXT أى أبو لهب وسورة المسد، ويقول صاحب هذه الدراسة إنه يستبعد أن امرأة مثل زوجة أبى لهب تحتطب بنفسها مع شرف بيتها. وفسر الآية بأنه ما دام أبو لهب كان يسمى عبد العُزى فهو من الذين يعبدون الآلهة العُزَى، وأم جميل امرأته ربما كانت تحمل الحطب كجزء من طقوس عبادة الآلهة العزى، وهذا تعليل مفتعل لأنه لم يرد لدينا فى طقوس عبادة العزى حمل الحطب إليها وأصح من ذلك ما ذكره المقريزى فى النص عن الضحاك.

من مسد﴾[1]. وقيل عنى أن فى جيدها سلسلة من نارٍ، أى من سلاسلِ جهنم، والجيدُ العُنُق.

ولما نزلت سورة ﴿تبت * يدا أبى لهب وتب. ما أغنى عنه مالُه وما كسب. سيصلى نارًا ذاتَ لهبٍ. وامرأتُه حمالةَ الحطبِ. فى جيدها حبلٌ من مَسَد﴾ قالت امرأة أبى لهب: قد هجانى محمد والله لأهجُونَّه، فقالت:

مُذَمَّما قَلَيْنا ودينه أبينا وأمْره عَصينا.

وأَخذَتْ فِهْرًا[2] لتضربه به، فأغشى اللهُ عينَها عنه وردها بغيظها، ولم تزل على كفرها حتى هلكت.

وما أحَدٌ من هؤلاء الذين تقدم ذِكرُهم إلا وقد بَذَل جهْدَه فى عداوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالغ فى أذى مَنْ اتبعه وآمن به ونالوا منهم من الشتم وأنواع العذابِ، حتى فروا منهم مهاجرين إلى بلادِ الحبشة، ثم إلى المدينة، وأغلقت أبوابُهم بمكة، فباع أبو سفيان بن حرب دُورَهم وقَضَى من ثمنها دينًا عليه، وهَمُّوا بقتلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غير مرة. وتناظروا فى أمرِه ليخرجوه من مكةَ أو يُقيدوه ويحبسوه حتى يهلَكَ أو ينـدبوا لقَتْلِه من كل قبيلةٍ رجلًا حتى يتفرق دمُه فى القبائل، وبالغ كلُّ أحدٍ منهم فى ذلك بنفسهِ ومالِه وأهلِه وعشيرته، ونصب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحبائل بكل طريق سِرًّا وجَهْرًا ليقتله، فلما أذِنَ اللهُ سبحانه[3] له فى الهجرة، وخرج من مكةَ ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى غارِ ثور، وجعلوا لمن جاء بهما أو قتلهما دِيَتَهما، ويقال جعلوا له مائةَ بعيرٍ ونادوا بذلك فى أسفل

---

(١) سورة المسد مكية، (١١١) الآيات ١ و٤ و٥.

(٢) الفِهْرُ: هو الحجر قدر ما يُدقّ به الجوز ونحوه.

(٣) (سبحانه) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

مكةَ وأعلاها، كلُّ ذلك حسدًا منهم لرسول الله وبَغْيًا، ويأبى الله إلا تأييدَ رسوله صلى الله عليه وسلم وإعلاءَ كلمتهِ حتى صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَه، وأعَزَ جنده، وهزم الأحزاب وحده، وظهر أمرُ الله وهم كارهون، كما ذكرت ذلك ذكرًا شافيًا فى كتاب (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع) صلى الله عليه وسلم[1].

ولله دَرُّ القائل[2] :

* عبدُ شَمسٍ قد أُضْرِمت لبنى هاشمٍ حَرْبًا يشيبُ منه الوليد
فابنُ حربٍ للمصطفى وابن هند لعلى وللحسين يزيد

وما الأمر إلا كما قال الأخطل[3] :

إن العداوةَ تلقاها وإن قَدُمَتْ كالعُرِّ[4] يَكمُنُ أحيانًا وينتشر

---

(١) المقريزى، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع جـ١، والمقصود هنا ما ذكره المقريزى تفصيلا فى الجزء الأول من كتابه المذكور حول إيذاء قريش للرسول صلّى الله عليه وسلم وللمسلمين وعداوتهم للإسلام وتآمرهم عليه انظر: ص١٨ - ص٤٤.

(٢) فى المخطوطة [ب] (ولله دَرُّ من قال).

(٣) نص هذا البيت كما يورده المقريزى مطابق لما ورَد فى الكامل للمُبَرد جـ٢ ص٣١٠. وقد ورد البيت كذلك فى العقد الفريد جـ١ ص٢٥١، باختلافٍ فى النص كما وَرَدَ فى ديوانِ الأخطل طبعة الأب صالحانى، بيروت ١٨٩١، ص١٠٥ مع اختلاف طفيف فى النص حيث ورد:

بنى أمية إنى ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنًا زعر
إن الضغينة تلقاها وإن قدمت كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

والأبيات ضمن قصيدة طويلة للأخطل يمدح فيها عبد الملك بن مروان ويهجوا قيسا وبنى كليب ومطلعها

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى فى حدقها غير

(٤) ورد فى هامش المخطوطة [و] (العر بفتح العين وضمها الجرب).

[إبعاد الرسول ﷺ لبنى أمية عنه وإخراجهم من ذوى قرباه]*

وأقول: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبعدَ بنى أمية (عنه)[1] وأخرجَهم من ذوى قُرْبَاه، كما خرجه الإمام أبوعبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله تعالى[2] فى كتاب فَرْض الخُمس من (الجامع الصحيح)[3] فقال: «حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليثُ عن عقيل عن ابن شِهاب عن سعيد بن المُسَيَّب عن جُبَيْر بن مُطْعم، قال: مَشيتُ أنا وعثمان بن عفان رضى الله عنه إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسولَ الله أعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلةٍ واحدةٍ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما بنو المطلب وبنو هاشمٍ شىء واحد. وقال الليثُ حدثنى يونس وزاد، قال جبير: لم يُقَسِّم النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل.

وقال ابن إسحاق: وعبدُ شمسٍ وهاشمٌ والمطلبُ إخوةٌ لأم [وأمهم[4]] (عَاتِكة بنت مُرَّة)[5] وكان نوفل أخاهم لأبيهم»[6].

---

* العنوان من عندنا.

(١) (عنه) لم ترد فى المخطوطة [و]، ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) تعالى وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى باقى المخطوطات.

(٣) باب فرض الخمس من صحيح البخارى جـ٢ ص١١٥ من طبعة المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٤٦هـ.

(٤) (وأمهم) غير موجودة فى جميع المخطوطات، وأضفناها من نص الحديث فى صحيح البخارى حتى يستقيم المعنى، انظر: صحيح البخارى جـ٢ ص١٢٣.

(٥) عاتِكة بنت مُرَّة بن هلال بن فَالج بن ذَكْوَان السُّلمية، انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم جـ١ ص١٤.

(٦) صحيح البخارى جـ٢ ص١٢٢ و ١٢٣.

وذكره البخارى فى مناقب قريش أيضًا[١].

وقال فى (غزوةِ خَيْبَر) : «حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليثُ عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المَسَيب أن جُبَيْر بن مُطْعم أخبره. قال: أتيت (أنا)[٢] وعثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أعطيتَ بنى المطلب من خُمْس (خَيْبَر) وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك. فقال: إنما بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ شىءٌ واحد. قال جبير ولم يُقَسِّم النبى صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئًا»[٣].

وقد خَرَّج أبو داود رَحمه الله هذا الحديث من طريقِ الزُّهْرى عن سعيد بن المسَيَّب، قال: حدثنى جُبَيْر بن مُطْعم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يُقَسِّم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شيئًا * من الخُمس كما قَسَّم لبنى هاشم ولبنى المطلب.

قال: وكان أبو بكر رضى الله عنه يُقَسِّمُ الخُمْسَ نحو قسمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أنه لم يكن يعطى قُرْبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان عمرُ رضى الله عنه يُعْطِيهم ومن كان بعده منه.

واعلم أن قولَه عن أبى بكر رضى الله عنه أنه لم يكن يُعطى ذوى القربى كما كان النبى صلى الله عليه وسلم (يُعْطِيهم، إنما هو مما كان صلى الله عليه وسلم[٤]) يَعودُ به عليهم من (سهمه)[٥]، وكانت حاجةُ المسلمين أيام أبى بكر أشد، لا أنه - رضى الله عنه - منعهم الحق المفروض لهم الذى سماه الله

(١) (مناقب قريش) باب فى صحيح البخارى جـ٢ ص١٦٤.
(٢) (أنا) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.
(٣) صحيح البخارى جـ٣ ص٣٣ باختلاف طفيف فى النص.
(٤) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.
(٥) وردت فى جميع الأصول (سهمهم) ونقترح تصويبها حتى يستقيم المعنى.

تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم، فقد أعاذه الله تعالى[1] من ذلك.

وخَرَّج أبو داود من طريق محمد بن إسحاق عن (الزُّهرى)[2] عن سعيد بن المسيَّب، قال: أخبرنى جُبَيْر بن مُطْعِم قال: فلما كان يومُ خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس. فانطلقت أنا وعثمانُ بن عفان حتى أتينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا نُنْكِر فَضْلَهم للموضع الذى وَضَعَك اللهُ به منهم، فما بالُ إخواننا بنى المطلب أعطيتَهم وتركتَنا وقرابتنا واحدة. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أنا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهليةٍ ولا إسلام، وإنما نحن وهم شىءٌ واحد. وشَبَّك بين أصابعه.

وخَرَّجه إسحاق بن رَاهويه عن الزُّهرى عن ابن المسيب عن جبير مثل ما تقدم. ومنه قال: فَقَسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سهمَ خُمسِ الخُمسِ من القمح والتمر والنوى.

وقال الحسنُ بن صالح عن السُّرىّ فى ذِى القربى، هم بنو عبد المطلب.

وخَرَّج النسائى من حديثِ سُفيان عن قيس بن مسلم، قال: سألتُ الحسن بن محمد عن قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شىءٍ فأَنَّ لِلَّهِ خُمسه﴾[3] قال: هذا مِفْتَاحُ كلام - ولله الدنيا والآخرة - [﴿وللرسوله ولذى القربى﴾][4]. قال: اختلفوا فى هذين السَّهْمَين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سهم الرسول وسهم ذى القربى، فقال قائل: *سهمُ الرسول

---

(١) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (عن أبى هريرة) وفى باقى المخطوطات عن (الزُّهرى) وهو الصحيح.

(٣) سورة الأنفال، مدنية (٨)، الآية ٤١.

(٤) وردت هذه الرواية عند البلاذُرى فى أنساب الأشراف جـ١ ص٥١٦. وقد أضفنا الآية الكريمة بين المعقوفتين - وهى بقيةُ الآية الكريمة السابقة - من النص الوارد عند البلاذُرى حتى يستقيم المعنى.

للخليفةِ من بعده، وقال قائل : سهم ذى القربى لقرابةِ الخليفة. فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيلِ والعُدةِ فى سبيل الله، فكان ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وقد رُوى (عن)[١] بعض (طُرق)[٢] ابن إسحاق، عن الزُّهْرى عن ابن المسيِّب : أن عثمانَ وجُبَيْر بن مُطْعِم كَلَّمَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سهم ذى القربى وقالا : قسمته بين بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف ونحن وبنو المطلب إليكم فى النسب سواء، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا وهم لم نَزَلْ فى الجاهليةِ والإسلامِ[٣] (شيئًا)[٤] واحدًا. وكانوا معنا فى الشِّعب كذا. وشَبَّكَ أصابعه[٥].

وكان من حديث الشِّعْب على ما ذكر محمد بن إسحاق وموسى بن عُقْبة، فذكر محمد بن إسحاق : «أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم، لما مضى على الذى بُعِثَ به وقامت بنو هاشم وبنو المطلبِ دونه وأبَوا أن يُسْلِموه، وهم من خلافه على مثل ما قومُهم عليه، إلا أنهم أنِفُوا أن يُسْتَذَلوا ويُسْلِموا أخاهم لمن فارقه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشمٍ وبنو المطلب وعَرفت قُريش ألا سبيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم معهم، أَجْمَعُوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب ألا[٦] ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يُبَايعونهم ولا يبْتَاعوا منهم، وكَتَبُوا صحيفةً فى ذلك وعَلقُوها بالكعبةِ، ثم عَدوا على من أسلَمَ فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاءُ عليهم وعَظُمت الفتنةُ وزُلْزلوا زلزالا شديدا».

---

(١) (عن) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (طريق) وفى باقى المخطوطات (طرق).

(٣) (والإسلام) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٤) (شيئًا) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٥) فى المخطوطة [و] وردت (وشبك أصابعه) وفى باقى المخطوطات (وشبك بين أصابعه) وقد وردت الرواية عند البلاذُرى فى أنساب الأشراف جـ١ ص٥١٧ و ٥١٨.

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (أن لا) وفى باقى المخطوطات (ألا).

وقال ابن عُقبة : « واجتمعت قريشٌ فى مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيةً. فلما رأى أبو طالبٍ عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يُدْخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعْبَهم، ويمنعوه ممن أراد قَتْلَه، فاجتمعوا على ذلك مُسْلِمهم وكافِرهم، فمنهم من فعله حَمِيَّةً ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا، فلما عرفت قريشٌ أن القومَ منعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اجتمع المشركون من قريشٍ، واجتمع[1] رأيُهم ألا[2] يجالسوهم، ولا يبايعُوهم، ولا يدخلوا بيوتَهم حتى يُسلموا * رسولَ الله صلى الله عليه وسلم للقتل. وكتبوا فى مَكْرِهم صحيفةً وعهودًا ومواثيقَ (أن)[3] لا يقبلوا من بنى هاشم أبدًا صُلحا، ولا تأخذهم بهم رأفةٌ حتى يُسْلموه للقتل. فلبث بنو هاشمٍ فى شِعْبِهم ثلاثَ سنين، واشتد عليهم البلاءُ والجهدُ وقطعوا عنهم الأسواقَ، فلا يتركوا طَعَامًا يَقْدمُ مَكة (ولا بيعًا)[4] إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفكَ دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

وذكر ابن إسحاق القصة فى دخولهم الشِّعْب وما بلغوه من الجَهْد الشديد حتى كان يُسْمَع أصواتُ صبيانِهم يتضاغون[5] من وراء الشِّعْب من الجوع حتى كره عامةُ قريش ما أصابهم وأظهروا كراهتَهم لصحيفتهم الظالمة.

قال موسى بن عُقْبة : « فلما كان رأسُ ثلاث سنين تلاءم[6] رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قُصَى ورجالٍ سواهم من قريشٍ ولدتهم نساءٌ من بنى هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرَّحِم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرُهم من

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (اجتمع) وفى باقى المخطوطات (أجمع).

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (أن لا) وفى باقى المخطوطات (ألا).

(٣) لم ترد (أنْ) فى المخطوطة [و]، ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) (ولا بيعًا) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٥) يتضاغون : أى يصيحون من الألم أو الجوع، ويقال للإنسان تضاغى إذا استغاث من أذى أو ضرب أو نحوه.

(٦) تلاءم « القوم » أى اجتمعوا واتفقوا.

ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبُرأة منه، وبعث اللهُ عز وجل على صحيفتهم التى [كان]* المكرُ فيها برسولِ الله صلى الله عليه وسلم - الأَرَضَة فلحست (كل ما)[1] كان فيها من عهدٍ وميثاق، فلم تترك اسما فيها إلا حسته. وبقى ماكان فيها من شِرك أو ظلم أو قطيعة رحم. وأطلع الله تعالى[2] رسوله صلى الله عليه وسلم على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب، فقال أبو طالب: لا والثَّواقِب، ما كَذَبَنى. وانطلق يمشى بعِصابةٍ من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافلٌ من قُريش فلما رأوهم عَامدِين لجماعتهم أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدةِ البلاء فأتوهم ليُعطُوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمورٌ بَعْدَكم[3] لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تَعَاهَدْتُم عليها، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح. وإنما قال ذلك خِشْيةَ أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم مُعْجَبين بها لا يشكون أنَّ رسولَ اللهِ (مَدْفوعٌ)[4] إليهم * فوضعوها بينهم، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وتَرْجعوا إلى أمرٍ يَجمع قَوْمكم، فإنما قطعه بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خَطَرًا لِهَلَكة قومكم وعشيرتكم وفسادِهم. فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمرًا (لكم)[5] فيه نَصَفٌ، إن ابن أخى قد أخبرنى (فلم)[6] يَكْذِبنى، أن اللهَ عز وجل بَرِىء من هذه الصحيفةِ التى فى أيديكم ومَحا كل اسم له فيها، وترك فيها غَدْرَكم وقطيعتَكم إيانا، وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال، فأفيقوا فوالله لا نُسَلمه حتى نموت عن

---

* لم يرد فى النص لفظ [كان] وإنما ذكرناها ليستقيم المعنى.

(١) وردت فى جميع المخطوطات (كلما).

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (الله تعالى) وفى باقى المخطوطات (الله عز وجل).

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (بعدكم) وفى باقى المخطوطات (بينكم).

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (مدفوعًا) وفى باقى المخطوطات (مدفوع) وهو الصحيح.

(٥) (لكم) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (ولم) وفى باقى المخطوطات (فلم).

آخرنا[١]، وإن كان قد قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم قالوا: قد رضينا بالذى تقول، ففتحوا الصحيفةَ فوجدوا الصادقَ المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب، قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سِحرا من صاحبكم فارتكسوا وعادوا أشر[٢] مما كانوا عليه من كفرهم والشدةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسْلمين والقيامِ بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النّفَر من بنى عبد المطلب: إن أولى بالكذبِ والسحرِ غيرنا فكيف ترون وإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبْت[٣] والسحرِ من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تَفْسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما فيها (من اسم له)[٤] وما كان من بَغْيٍ تركه، أفنحن السَّحَرةُ أم أنتم.

فقال النفرُ من بَنى عبدِ منَاف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم، منهم أبو البخترى والمطْعِم بن عدى وزُهَير بن أبى أمية بن المغيرة، وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو - وكانت الصحيفةُ عنده - فى رِجال من أشرافهِم (ووجوهِهم)[٥]. نحن بَراء مما فى (هذه)[٦] الصحيفة. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضى بليل.

قال موسى بن عقبة: «فلما أفسدَ الله صحيفةَ مكرهم، خَرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه (فعاشروا)[٧] وخالطوا الناس، فانظر رحمك الله كيف لم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم القرابةَ فى * النسب وحدها

(١) وردت فى المخطوطة [ب] (فوالله لا نسلمنه أبدًا حتى نموت من عند آخرنا).

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (أشرّ) وفى باقى المخطوطات (الشر).

(٣) الجبت: السحر، ويقال لكل ما عبد من دون الله.

(٤) وردت العبارة بين القوسين فى المخطوطة [ب] (من اسم له) أما فى المخطوطة [و] فقد وردت (من له اسم).

(٥) (ووجوههم) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٦) (هذه) وردت فى المخطوطة [ب] ولم ترد فى المخطوطة [و].

(٧) (فعَاشروا) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى المخطوطة [ب].

قرابة معتبرة فى أحكام الله تعالى[١] عز وجل ما لم تقترن به القرابة الدينية. فإنه كما قد رأيت أخرج بنى أمية من ذوى القربى مع كونهم بنى أبيه عبد مناف بن قُصَى، لما كان من عداوتهم له فى دين الله عز وجل[٢] وتكذيبهم لما جاء به من النبوةِ والرسالةِ، وكيف جعل بنى المطلب بن عبد مناف من ذوى القربى لأجل مسالمتهم له فى الجاهلية وتسرعهم إلى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته، (وإنهم لم يَرْبَثوا بأنفسهم عن نفسه، بل أمدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس، ودخلوا معه الشِّعْبَ، مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن دينًا والكافر حميَّة)[٣].

وقال الأعشى[٤] فى المعنى[٥]:

لا تطلبن الودَّ من متباعدٍ ... ولا تأْمَنْ[٦] ذى بغضة إن تقربا

فإن القريبَ من يُقَرِّب نَفْسَه ... لَعَمْر أبيك (الخير) لا من تَنَسبا

فإذا أقرب الوسائل المودةُ، وأبعدُ النسبِ العُقوق، وقد قال الله[٧] تعالى: ﴿إنما المؤمنونَ إخوة﴾[٨] فقاربت ولاية الإسلامِ بين الغرباءِ، وقال تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عَملٌ غيرُ صالح﴾[٩] فبَاعد به بين القرابة.

---

(١) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى باقى المخطوطات.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (الله عز وجل) وفى باقى المخطوطات (الله تعالى).

(٣) الفقرة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى المخطوطة [ب].

(٤) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد حسين مُراجع على طبعة رودلف جاير مكتبة الآداب بالجماميز - القاهرة ١٩٥٠، القصيدة الرابعة عشرة ص١١٣ وقد ورد البيتان ضمن القصيدة باختلاف طفيف فى اللفظ:

سأوصى بصيرا إن دَنَوت من البلَى ... وصاةَ امرئٍ قَاسى الأمورَ وجَرَّبَا

بأن لا تَبْغِ الودّ من مُتباعدٍ ... ولا تنأ عن ذى بغضة إن تقربا

فإن القريب من يقرب نفسه ... لعَمْر أبيك الخير لا من تنسبا

(٥) (فى المعنى) هكذا وردت فى المخطوطة [و]، ولم ترد فى باقى المخطوطات.

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (ولا تأمن) وفى باقى المخطوطات وردت (ولا تنأ من).

(٧) لفظ الجلالة ورد فى المخطوطة [و] ولم يرد فى باقى المخطوطات.

(٨) سورة الحجرات، مدنية، (٤٩)، الآية ١٠.

(٩) سورة هُود، مكيَّة، (١١) الآية ٤٦.

وتَأمّل ذلك يظهر لك منه فائدتان :

إحداهما : أن العبرةَ بقرابة الدينِ لا بقرابة الطين.

والأخرى : أن مُجردَ القرابةِ ليس بشيء، وقد قيل : أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب البغضة[١].

قال[٢] :

وإن[٣] القرابةَ لا تُقَرِّب قاطعا ... وأرى المودة أكبر الأسبابِ[٤]

ثم إنى أقول : يا عجبًا ! كيف يستحق خلافةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُمته شرعًا من لم يُجْعَل له حقًّا فى سَهْم ذِى القُرْبى ؟ أم كيف يُقيم دين اللهِ من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونابذه، وكايده، وبذل جَهْدَه فى قتله ؟

وليت إذا وُلّى بنو أمية عَدَلوا أو أنصفوا، بل جَاروا فى الحكم وعَسَفُوا، واستأثروا بالفىء كله، وحَرَمُوه بنى هاشم جُملةً، وزادوا فى العُتوِّ والتعدى حتى قالوا : إنما ذوى القربى قَرابةُ الخليفةِ منهم. وحتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابةَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم يرثونه إلا بنى أمية، فلما قام بالأمرِ أبو العباس عبد الله بن محمد بن على المنعوتُ بالسفاح * وقَتَل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلائف بنى أُمية وأزال دَوْلَتَهم، دخل عليه مَشْيَخةٌ من أهلِ الشام فقالوا : والله ما عَلِمْنَا أن لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم قرابةً يَرِثُونه إلا بنى أمية حتى وُليِّمْ.

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (البُغْضَة) وفى مخطوطات [الفئة ب] (البغضاء).

(٢) ورد البيت منسوبًا لأبى تمام فى العِقْد الفريد جـ٢ ص٣١٤ باختلاف طفيف فى اللفظ:

ولقد سبرتُ الناسَ ثم خَبرتهم ... ووضعتُ ما وضعوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تُقَرِّبُ قاطعا ... وإذا المودةُ أقرب الأنساب

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (وإن) وفى باقى المخطوطات (وأرى).

(٤) الفقرة السابقة التى تبدأ بـ(وتـأمل ذلك...) وتنتهى بـ(... أكبر الأسباب) وردت فى المخطوطة [ب] قبل أبيات الأعشى.

فقال إبراهيم بن مُهَاجِر :

أيها النـاسُ اسمعـوا أُخْـبِرُكم ... عَجَبًـا زاد على كل عجـب
عَجَبًا مـن عَبْـدِ شمسٍ إنهـم ... فتحوا للناس أبوابَ الكذب
وَرثُـوا أحمـد فيا زعمـوا ... دُونَ عباسٍ وعبدِ المطلب[1]
كَذبُـوا واللهِ مـا نعلمـه ... يُحـرِزُ الميراث إلا مـن قـرب

وحتى صعد الحجاجُ بن يوسف يـومًا أعـواد منـبره وقـال على رءوس الأشهاد : أرسولُك لك أفضلُ أم خَلِيفَتُك ؟ يَعْـرِضُ بـأن عبـد الملك بـن مروان بن الحكم أفضل من رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم. فلما سمعـه جَبَلة بن (زَحْر)[2] قال : لله على ألا أُصَلى خَلْفه أبدًا وإن رأيـت مـن يُجـاهده لأجاهدنه معه. فخرج مع عبد الرحمن بن الأشعثِ وقُتِل معه. (ولقـد اقتـدى بِعَدُوِّ الله الحجاج فى كفره)[3] (ابن شـق)[4] الحِمْـيرى، فـإنه قـام بمجلس هشام بن عبد الملك، وقال : أميرُ المؤمنينَ خليفةُ اللهِ وهـو أكرمُ على الله مـن رسوله، فأنت خليفة ومحمد رسول الله.

وحتى أن يوسفَ بن عمر عامل هشام قـال فى خـطْبَته يـوم الجمعـة : إن

(١) وردت فى المخطوطة [و] (دون عباس وعبد المطلب) وفى باقى المخطوطات (دون عباس بن عبد المطلب).

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (جبلة بن ...) وفى المخطوطة [ب] (جبلة بـن زحـر) وفى المخـطوطة [ت] (جبلة بن ...) كلمة عليها شَطب وبالهامش عبارة (بياض بالأصل وهو جبلـة بـن زحـر) وبـالمخطوطة [ك] (جبلة بن زهر) مع تعليق بالهامش يفيد بأن التصحيح موجود بهامش الأصل نقلا عن ابن الأثير.

والصحيح جبلة بن زحر : وهو جَبَلَة بن زَحْر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سُـعْنة بـن بـدَّاء بـن سعد بن عمرو بن ذُهْل بن مَرّان بن جُعْفى، وقد قُتِل جبلة يوم دَيْر الجماجم وكان على القراء مع ابن الأشعث، انظر ابن حزم ص ٤٠٩.

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (ولقد اقتدى والله بعد الحجاج فى كفـره) وفى بـاقى المخـطوطات وردت العبـارة على النحو الذى أثبتناه فى النص.

(٤) وردت فى جميع المخطوطات (ابن شق) وفى هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أن الاسـم مصـحح بهـامش الأصل الذى نقلت عنه إلى (ابن شَق الحميرى) نقلا عن ابن الأثير، وهو الصحيح، وقـد أورده كذلك الـطبرى جـ ٧ ص ٢٥٨.

أول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء، على وصاحبه الزُّنَيْجى يعنى عمار بن ياسر رضى الله عنهما[١].

وقد خرَّجَ الحاكمُ من حديث سفيان، عن أبى إسحاق، عن عمرو ذى مُر عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى[٢] عنه فى قوله تعالى[٣] : ﴿وأحَلُّوا قومَهم دارَ البوارِ﴾[٤] هما الأفجرانِ من قُريش بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دَابِرهم يوم بَدر، وأما بنو أُمية فُمتعوا إلى حين. قال الحاكم : هذا حديث صحيح.

وسُئِل على رضى الله عنه عن بنى أمية وبنى هاشم * فقال : هم أكثرُ وأنكرُ وأمكرُ، ونحن أفصح وأصبحُ وأسمح[٥].

وقال أبو بكر بن أبى شَيْبَة : حدثنا حَشْرج بن نباتة : قال : حدثنى (سعيد بن جُمْهَان)[٦]، قلت لسُفَيْنَة : إن بنى أمية يزعمونَ أن الخلافةَ فيهم. فقال : كذب بنو الزَّرْقاء، هم مُلوك من أشرِ الملوك وأول الملوكِ مُعاوية.

فصل[٧]...

[تولية الرسول صلى الله عليه وسلم أعماله لبنى أمية]*

وما زلتُ طوالَ الأعوامِ الكثيرةِ أعمل فكرى فى هذا وأشباهه إلى مدة يطول ذكرها، وأُذَاكِر به من أدركتُ من مشيخةِ العِلم ومن لقيتُ من حَمَلةِ

(١) وردت فى المخطوطة [و] (عنهما) وفى باقى المخطوطات (عنه).

(٢) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى باقى المخطوطات.

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (تعالى) وفى باقى المخطوطات (عَزَّ وجل).

(٤) سورة إبراهيم، مدنية (١٤)، الآية ٢٨.

(٥) انظر : ابن عبد ربه «العقد الفريد» جـ٣ ص٣١٥.

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (سعيد بن حمدان) وفى باقى المخطوطات (سعد بن جُمْهَان) وعند ابن حَجَر العسقلانى جـ٤ ص١٤ سعيد بن جُمْهَان الأسلمى أبو حفص البصرى.

(٧) فصل وردت فى المخطوطة [و] فقط.

* العنوان من عندنا.

الآثارِ ونَقلةِ الأخبار، فلا أجدُ فى طولِ عُمرى سوى رجلين، إما رجل عَرَاهُ ما عَرَانى وساءه ما قد دهانى، فهو يحذو فى المقالِ حذْوى ويشكو من الألمِ شكْوى، وإما رجلٌ يَرْتَعُ فى مَيْدان تقليدِه ويَجُول فى عُرْصاتِ تهورِه وتفنيده، فلا يزيدنى على التهويلِ والهذر الطويلِ إلى أن اتضح (لى)[1] والحمد لله وحده سبب أخذ بنى أمية الخلافةَ ومنعها بنى هاشم، وذلك أن أعجاز الأمورِ لا تزال أبدًا تاليةً لصدورها، والأسافل من كل شيء تابعةً لأعاليها. وكل أمرٍ كان خَافيًا، إذا انكشف سببه زال التعجب منه.

وما بَعُدَ علىَّ مِنْ بعد سبب أخذِ بنى أمية الخلافة وتقدمهم فيها على بنى هاشم، إلا من أجلِ الإعراض عن الاعتناءِ بتعرف أوائلِ ذلك وقلةِ البحثِ عن غوامضه. وإن الشيء لم يُوْضعْ فى مواضعه، وإنما سَلَكَ فيه الكافة إلا قليلاً مذهب التعصب. والواجبُ على العاقلِ - بعد معرفة ما خفى من السبب - الإذعانُ والتسليمُ، وتَرْكُ الاعتراضِ، فماذا بعد الحق إلا الضلال!

وذلك أنه لا خلاف بين أئمةِ الحديثِ، ونُقَّاد الأخبارِ، وعُلماء السير والآثارِ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم توفى وعامله على مكة أبو عبد الرحمن عتَّاب بن أَسِيد بن أبى العِيص بن أمية بن عبد شمس القُرَشى الأموى، أحدُ من أسلم يومَ فتح مكةَ وإنه لم يزل على مكة منذ فتحها اللهُ على رسوله[2] * صلى الله عليه وسلم عام ثمان من الهجرة إلى أن توفاه الله تعالى[3]، فأقر أبو بكر الصديق رضى الله عنه عتابًا حتى ماتا فى يوم واحد.

وكان صلى الله عليه وسلم قد[4] قسم اليمن بين خمسة رجال: خالد بن سعيد على صنعاء والمهَاجِر بن أبى أُمَيَّة على كِنْدَة، وزِياد بن لَبِيد على

---

(١) (لى) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (رسوله) وفى باقى المخطوطات (رسول الله).

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (تعالى) وفى باقى المخطوطات (عز وجل).

(٤) (وقد) وردت فى المخطوطة [و]، ولم ترد فى باقى المخطوطات.

حَضرمَوْت، ومُعَاذ بن جَبَل على الجند وأبا مُوسى الأشعرى على زَبيدِ[١] ورُمَع[٢] وعَدَن. فكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنعاء اليمن - كما تقدم - خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، بعثه صلى الله عليه وسلم إليها سنة عشر من الهجرة - وقد مات باذان[٣] - ليكون على صدقات اليمن، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد على اليمن.

وكان أبَانُ بن سعيد بن العاص بن أمية على البحرين بَرها وبحرِها منذ عزلِ العَلاء (بن) الحضرمى حليف بنى أمية، وقيل بل مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والعلاءُ على البحرين.

وكان عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية على تَيْماء وخَيْبَر وتَبُوك وفَدك، فلما تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجع خالد بن سعيد وأبَان وعمرو عَنْ عِمالتِهم، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: ما لكم رَجَعْتُم عن عمالتكم ما أجدُ[٤] أحق بالعملِ من عمال رسولِ الله صلى الله عليه وسلم منكم، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبى أُحَيْحَة لا نعمل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدًا، ثم مَضوا إلى الشامِ، وقاتلوا فقُتِلوا فى مغَازيها. فيقال: ما فُتِحَتْ بالشام كُورةٌ من كُوَرِ الشامِ إلا وُجِدَ عندها رجلٌ من بنى سعيد بن العاص ميتا.

وكان أبو سفيان بن حرب بن أمية على نَجْرَان فمات رسولُ الله صلى الله

---

(١) زَبِيْد: اسم واد باليمن به مدينة يُقال لها الحصَيْب ثم غلب عليها اسم الوادى فصارت تعرف به. انظر: ياقوت الحموى جـ٤ ص١٧٦ والبكرى جـ٢ ص٦٩٤.

(٢) موضع باليمن: انظر: ياقوت جـ٤ ص٢٨٥ والبكرى جـ٢ ص٦٧٤.

(٣) هو باذان عامل كسرى على اليمن - فيما يقول الطبرى - جمع له الرسول صلى الله عليه وسلم اليمن كلها حين أسلم سنة ١٠ هـ، وبعد وفاته فى نفس السنة فُرِّقت أعمال اليمن بين ابنه وجماعة من الصحابة. ويذكر الطبرى أن الذى ولى صنعاء هو شَهْر بن باذان وأن خالد بن سعيد ولى على ما بين نجران ورمع وزبيد أما أبو موسى فقد وُلى على مأرب. انظر: الطبرى جـ٣ ص١٥٨، ص٢٢٧ و ٢٢٨.

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (وما أجد) وفى باقى المخطوطات (وما أحد).

عليه وسلم وهو عليها. وقيل بل كان على نَجْرَان لما تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حَزْم بن زَيْد بن عمرو بن عبد عَوف بن غُنْم بن مالك بن النجار الأنصارى.

قال الواقدى عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى[1] أنه قال: «تُوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأربعةٌ من بنى أمية * عُمالُه: عَتَّاب بن أَسِيد على مكة، وأبَان بن سعيد بن العاص على البحرين، وخالد بن سعيد على صنعاء، وأبو سفيان على نجران. قال الواقدى: وأصحابنا مُجمِعُون علىَ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قُبض وأبو سفيان حاضر.

وقال ابنُ الكلبى: كان أبو سفيان غائبًا: فلما قَدِم قال: كيف رَضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى أمركم غيركم.

وقوم يقولون إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَلَّى أبا سفيان صدقاتِ خَوْلَان (ونَخْلَة)[2]، وَوَلَّى يزيد بن أبى سفيان على نَجْران والله أعلم، وكان على جُرَش[3] سعيدُ بنُ القشب الأَزْدِىّ حليف بنى أمية، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها.

---

(١) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى المخطوطة [ب].

(٢) (ونَخْلَة) لم ترد فى المخطوطة [و]، ووردت فى المخطوطة [ب].

والمقصود هنا على الأغلب نَخْلَة اليمنية التى تقع شمالى بلاد خولان الشامية أى الفرع الشمالى من قبيلة خولان ومنازلهم كانت فى جنوبى تهامة، وربما فى بلاد عسير الحالية. انظر: الحسن بن عبد الله الأصفهانى، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر والصالح أحمد العلى، الرياض، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م، ص ٣٧٥.

وانظر كذلك: تعليق بوزورث على ترجمته الإنجليزية للنزاع والتخاصم التعليق رقم ٧٢. وانظر: البكرى جـ٤ ص ١٣٠٤ و ١٣٠٥.

(٣) جُرَش: مِخلاف من مخاليف اليمن من جهة مكة وقاعدته تحمل نفس الاسم وقيل إنها مدينة عظيمة باليمن.

وقد ورد ذكره عند الهمدانى فى صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوَالى، الرياض ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م، ص ٦٥. وهو يذكر أن جُرَش توجد فى اليمن الخضراء، ويفسر بوزورث الخضراء بأنها بلاد الغابات، وانظر كذلك ياقوت جـ٣ ص ٨٤ و ٨٥. والبكرى جـ٢ ص ٣٧٦.

وكان المهاجر بنُ أبى أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، أخو أم سَلَمة أم المؤمنين رضى الله عنها على صدقاتِ كِنْدَة والصَّدِف[١]، ثم ولاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه اليمنَ.

وكان عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سَهم السهمى، حين وفاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، على عمان، بعد ما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم على سرية نحو الشام إلى أخوال أبيه العاص بن وائل من بَلِى يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، ثم أمده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم فصَلُّوا خَلفَه. ثم عمل عمرو بن العاص بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

وكان على الطائف عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبدِ دُهمان الثقفى ومات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها[٢].

فإذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أسس هذا الأساس وأظهر بنى أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد، كيف لا يقوى ظنهم، ولا ينبسط رجاؤهم، ولا يمتد إلى الولاية أملهم؟[٣].

أم كيف لا يضعف أمل بنى هاشم وينقبض رجاؤهم ويقصر أملهم * وكبيراهم العباس بن عبد المطلب، وابن أخيه على بن أبى طالب رضى الله عنهما يريد أحدهما استعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته عن هذا الأمر، هل هو فيهم أم فى غيرهم، ويأبى الآخر ذلك؟ كما خَرَّجَ البخارى فى حَديثه عن الزُّهْرِى قال: فأخبرنى[٤] عبد الله بن كعب بن مالك

---

(١) الصَّدِف: مخلاف باليمن، ياقوت جـ٥ ص٣٤٥.

(٢) هناك اختلافات بين المصادر القديمة فى تحديد أسماء عمال الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

(٣) وردت هذه العبارة فى المخطوطة [ب] (ولا يحتد فى الولاية أملهم).

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (فأخبرنى) وفى باقى المخطوطات (أخبرنى).

الأنصارى، أن عبد الله بن عباس أخبره، أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه، فقال الناسُ: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أصبح بحمدِ الله بارئًا. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه، فقال له: «أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإنى والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوفى من وجعه هذا، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلنسأله فى مَنْ هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان فى غيرنا علمناه، فأوصى بنا. فقال على: إنا والله لئن سألناها رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناسُ بعده، وإنى والله لا أسألها من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم».

ورواه مُحمد بن إسحاق عن الزُّهْرِىّ إلا أنه لم يَذْكُر ما قاله فى العصا وزاد فى آخره فتوفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

وفى رواية: وخلا العباسُ بِعَلى فقال له: «هل تعلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أوصى إلى غيرك بشىء»؟ فقال له: «اللهم لا». فخرج العباسُ على بغلةٍ له حتى أتى عَسْكَرَ أسامة بن زيد[1]، فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما فقال: «هل أوصاكم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بشىء؟» قالوا: «لا». فرجع إلى على فقال: «إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مقبوضٌ فامْدُدْ يَدَكَ أبايعك فيقال: عمُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بايعَ ابنَ عم رسول الله ويُبَايعك أهلُ بيتك، فإن مثل هذا الأمر لا يُؤَخر». فقال: «يَرْحَمُكَ الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا يا عم»!

---

(١) كان أسامة على رأس سَرِية مُعَدَّة لملاقاة الروم عندما تُوفى الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم انظر: الطبرى جـ٣ ص ١٨٤.

وفى رواية أن العباسَ قال لعلى ﷺ هلم يدك أبايعك، فقال: إن لى برسولِ اللهِ شُغْلا، ومَنْ ذلك الذى ينازعنا هذا الأمر». ورواية البخارى وعبد الرزاق أثبت.

وقال ابنُ سعد: «أنبأنا[١] محمد بن عمر: حدثنى (محمد بن عبد الله)[٢] ابن أخى الزُّهْرِىّ قال: سمعتُ عبدَ الله (بن حسن)[٣] يُحدِّث عمى الزُّهْرِىَّ يقول: حَدَّثتنِي فاطمةُ بنت الحُسين قالت: «لما توفى رسولُ اللـهِ صلى الله عليه وسلم قال العباسُ: يا علىُّ قُمْ حتى أبايعك ومَنْ حَضَر، فإن هذا الأمر إذا كان، لم يُرِدْ مثلُه، والأمر فى أيدينا» فقال عَلِي: «وأحدٌ يَطْمع فيه غيرنا»! فقال العباسُ: أظن وأنه سيكون. فلما بُويع لأبى بكر رضى الله عنه[٤] ورجعوا إلى المسجد سمع على التكبيرَ فقال: «ما هذا؟» فقال: هذا ما دعوتك إليه فأبيت علىّ. فقال على: «أيكون هذا؟» فقال العباسُ: «ما يُرد[٥] مثل هذا قط».

وقال محمدُ بن عمر: «قد خرج أبو بكر من عندِ النبى صلى الله عليه وسلم حين تُوفى وتخلف عنده علىّ والعباسُ والزبيرُ»، فذلك حين قال عباس هذه المقالة. وخَرَّجَه عبد الرزاق عن معْمَر عن الزُّهْرِىّ بمعناه.

قال عبد الرزاق[٦]: وكان معْمَر يقول لنا: أيهما كان أصوب عندكم رأيًا؟ فنقول: العباس. فيأبى، ثم قال: لو أن عليًّا سأله عنها فأعطاه إياها فمنعه الناسُ كانوا قد كفروا.

---

(١) وردت فى المخطوطتين [و، ت] (أنبأنا) وفى المخطوطتين [ب، ك] وردت مختصرة (أنا).

(٢) وردت فى المخطوطة [ب] (محمد بن عبد الله) وفى المخطوطة [و] (محمد بن عبد الملك) والصحيح محمد بن عبد الله وهو محمد بن عبد الله بن مُسْلَمة بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرة الزهرى. انظر: ابن حَجَر جـ٩ ص٢٧٨.

(٣) (بن حسن) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) ورضى الله عنه وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٥) وردت فى المخطوطة [و] (ما يُرد) وفى باقى المخطوطات (ما رُد).

(٦) لم ترد (قال عبد الرزاق) فى المخطوطة [ب] ووردت هكذا فى باقى المخطوطات.

قال (عبد الرزاق)[١] فَحَدَّثْتُ به ابن عُيينة فقال: قال الشعْبِيّ: لو أن عليًّا سأله عنها كان خيرًا له من ماله وولده.

وروى إسماعيلُ بن خالد عن الشعْبِيّ قال: «قال العباسُ لعلى رضى الله عنهما حين مَرِض النبى صلى الله عليه وسلم: إنى أكاد أعْرِف فى وجهِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الموتَ، فانْطَلِق بنا إليه نسأله من يَسْتَخْلِف، فإن يَسْتَخْلِف[٢] منا فذاك، وإلا أوصى بنا»، فقال على للعباس كلمةً فيها جفاء. فلما قُبِضَ رسولُ اللهِ[٣] صلى الله عليه وسلم قال العباسُ لعلِي: «ابسط يَدَك فلنبايعك فقَبَض يده». قال الشعبيّ: «لو أن عليًّا أطاع العباسَ كان خيرًا له من حُمْر النَّعَم»[٤].

وقد رُويت مع هذا الحديث أحاديث أخرى، إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها، وإن كانت مفتعلة فقد صارت داعيةً إلى الأمر الذى وقع النزاع فيه وطال الخصامُ عليه * منها ما رواه ابنُ الكلبى عن الحكَم بن هِشام الثَّقفى، قال: مات عُبيْد الله بن جَحْش عن أم حَبيبة بنت أبى سفيان، وكانت معه بأرض الحبشة، فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى، فدعا بالقُرَشيين فقال: من أُولاكم بأمر هذه المرأة. فقال: خالدُ بن سعيد بن العاص: «أنا أُولاهم بها». فقال: فزوج نبيكم. قال: فزوجته. ومَهَر عنه النجاشى أربعمائةِ دينارٍ (فكانت أولُ امرأة مُهِرَت أربعمائة دينار)[٥]. وحُمِلَت إلى النبى ومعها الحكم ابن أبى العاص فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يُكْثِر النظرَ إليه، فقيل: «يا رسول الله إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب». فقال: «أليس هذا[٦] ابن

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (ابن عبد الرزاق) وفى المخطوطة [ب] (عبد الرزاق).
(٢) وردت فى المخطوطة [و] (يستحلف) وفى المخطوطة [ب] (استحلف).
(٣) وردت فى المخطوطة [و] (رسول الله) وفى باقى المخطوطات (النبى).
(٤) حُمر النعم: الجِمالُ الحمراء.
(٥) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و]، ووردت فى المخطوطة [ب.].
(٦) (هذا) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

المخزومية»[١]. قالوا: «بلى» قال: «إذا بَلَغ بنو هذا أربعين رجلا كان الأمرُ فيهم[٢]». وكان مروانُ بن الحكم إذا جرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان كلامٌ قال لمعاوية: «إنى والله لأبو عشرة، وأخو عَشرةٍ، وعم عَشرةٍ وما بَقِى إلا عَشرةً حتى يكون الأمر فىّ». فيقول معاويةُ: «أخَذَها والله من عينٍ صافيةٍ». فهذا الحديثُ كما تسمع[٣].

وقد روى أبو بكر بن أبى شَيْبَة من حديث عبد الله بن عمير قال: قال معاويةُ: مازلت أطمعُ فى الخلافةِ مُنْذُ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنْ مَلَكتَ يا معاوية فأحسِن»[٤].

وقال وَكِيع: حَدثنا الأعمش عن أبى صالح قال: «كان الحادى يحدو لعثمان رضى الله عنه ويقول:

إن الأميرَ بعده علىّ وفى الزُّبَيْرِ خَلَف الوصى

فقال كعبُ الأحبار: «بل هو صاحب البغلةِ الشهباء»، يعنى معاوية، (فبلغ ذلك معاوية)[٥] فأتاه فقال: «يا أبا إسحاق ما تقول هذا وهاهنا على

---

(١) المخزومية: أم الحكم بن أبى العاص وهى رُقَيَّة بنت الحارث بن عبيد بن عمر بن مَخْزُوم انظر: ابن سعد طبقات جـ ٥ ص ٤٤٧.

(٢) ذكر الأصفهانى فى كتاب الأغانى هذه الرواية جـ ١٣ ص ٢٦٢، وإن كنا لم نستدل على الواقعةِ فى أى من مصادرنا الأخرى وهى واقعة مشكوك فى صحتها، فالمعروف أن الحكم بن العاص لم يُسلم إلا بعد فتح مكة، ومن ثم لم يكن من المتصور أن يكون من ضمن المهاجرين إلى الحبشة حيث إنه كان من المؤذين للرسول صلّى الله عليه وسلم فى مكة.

(٣) ورد ذكر الجدل بين معاوية ومروان بن الحكم فى الكثير من المصادر التى رجعنا إليها وإن اختلفت بعض الملابسات باختلاف المصادر. هذا وقد كان موضع فخر بنى الحكم على بنى حرب فى أن عثمان بن عفان وهو من بنى الحكم تزوج رقية ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك إنهم كانوا أكثر عددًا، فقد كان لمروان ابن الحكم عشرة أولاد وكان لعبد الله بن عامر بن كريز وهو من آل الحكم اثنى عشر ولدًا فى حين أن سعيد ابن العاص كان له من الولد عشرون حسبما تذكر المصادر. انظر: الزبيرى ص ١٠٠، ١٢٠، ١٥٩، ١٦٩، ابن حزم: ص ٨٧ - ٨٩.

(٤) انظر ابن عبد ربه جـ٤، ص ٣٦٤.

(٥) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

والزبيرُ وأصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قال: أنت صاحبها»[١].

وقد جاء عن طريق[٢] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيتُ فى النوم بنى الحكم وبنى أبى العاص يَنْزُون[٣] على منبرى كما تنزو القِرَدة» قال: «فما رُؤِى النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتى تُوفى».

وعن سعيد بن المسيَّب قال: «رأى النبى صلى الله عليه وسلم بنى أمية على منابرِهم فساءه ذلك، فأوحى إليه إنما هى دنيا أُعْطُوها، فقرت * عينُه، وهى قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنةً للناسِ﴾[٤] (يعنى بلاء للناس)»[٥].

وقد رُوِىَ أن رجلا قام إلى الحسنِ بن على رضى الله عنهما فقال: «يا مسوِّد وجهِ المؤمنين، فقال: لا تؤنبنى رَحِمك الله، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد رأى بنى أمية يخطُبون على منبره رَجلا رَجُلا فساءه ذلك فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾[٦]، (والكوثر)[٧] نَهرٌ فى الجنة، ونزلت ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلةُ القدر خير من ألف شهر﴾[٨] يعنى

---

(١) انظر الخبر فى الطبرى جـ٤ ص ٣٤٣.

(٢) فى المخطوطة [و] (طريق) وفى باقى المخطوطات (طرق).

(٣) ينزون: يَثِبُون.

(٤) سورة الإسراء، مكية (١٧) من الآية ٦٠، هذا وتميل معظم كتب التفسير إلى اعتبار الرؤيا المقصودة هنا فى رؤيا الإسراء والمعراج، ويرى بعضُ المفسرين أن المقصودَ رؤيا رآها الرسول صلى الله عليه وسلم يومَ بدر أو رؤيا رآها سنة الحُدَيْبِيَة.

انظر: مختصر تفسير الطبرى للتجيبى جـ١ ص ٣٩٣ و ٣٩٤ - ومختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣٨٦ - ومحمد فريد وجدى المصحف المفسر ص ٣٧٢، هذا وقد أورد القرطبى هذا التفسير الذى ذكره المقريزى ضمن تفسير الآية الكريمة، أنظر: القرطبى «الجامع لأحكام القرآن» جـ١٠ ص ٢٨٢ و ٢٨٣.

(٥) لم ترد العبارةُ بين القوسين فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٦) سورة الكوثر، مكية، (١٠٨) الآية ١.

(٧) (والكوثر) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٨) سورة القدر، مكية (٩٧)، الآيات ١ - ٣.

تَمَلُّكَ بنى أمية، فَحَسِبَ ذلك، فإذا هو لا يزيد ولا ينقص»[١].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد الخُدْرِى، رضى الله عنه[٢]، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا بلغ بنو أبى العاص أربعين رَجُلا، اتخذوا دينَ الله دَغْلا[٣]، وعبادَ الله خوَلا، ومالَ الله دُوَلا.

قال الزبَيْر بنُ بكار: قال عمى مُصْعب عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة من الزبَيْر، أو غير عبد الله، وحَدثنيه محمدُ بن الضحاك الحُزَامِى عن أبيه: أن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه[٤] اشتكى، وكان العُوادُ يدخلون عليه فيخرجون ويتخلف[٥] مروان بن الحكم عنده فيطيل، فأنكرت رَمْلةُ بنتُ معاوية ذلك، وهى امرأة عمرو بن عثمان فخرَقَت كُوَّةً واستمعت مروان، فإذا هو يقول لعمرو: ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك، فما يمنعك أن تنهضَ بحقك، فنحن[٦] أكثرُ منهم رجالا: منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان، حتى عَدَّدَ رجالا، ثم قال: ومنا فلان وهو فضل، وفلان وهو فضل، حتى يُعَدد فضول رجال بنى أبى العاص على (بنى)[٧] حرب، فلما برئَ عمرو و(تحضر)[٨] للحج وتجهزت رملة فى جَهازِه[٩]، فلما خَرَج عمرو إلى الحج خرجت رملة إلى أبيها فقَدِمت عليه الشامُ فقال لها معاوية: «واسَوْأتاه وما للحُرة تُطلق! طَلَّقك عمرو؟ فأخْبَرته الخبَرَ وقالت: وما

(١) حول الأحاديث التى تُشير إلى تولى بنى أمية انظر: فنسنك «مفتاح كنوز السنة» ص ٦٤.
أما عن تفسير الآيات وأسباب التنزيل فلم تَرِد على النحو الذى أورده المقريزى فى أى من مصادرنا.

(٢) وردت فى المخطوطة [ب] (وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما.

(٣) دغلا: يقال دغل الأمر أى أفسده أو ادخل فيه ما يُفسده ويخالفه.

(٤) (رضى الله عنه) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٥) وردت فى المخطوطتين [و، ت] (يتخلف) وفى المخطوطتين [ب، ك] (تخلف).

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (فنحن) وفى باقى المخطوطات (فلنحن).

(٧) وردت فى المخطوطة [و] (ابن) وفى باقى المخطوطات (بنى).

(٨) وردت فى المخطوطتين [ت، ك] (وتجهز).

(٩) لم ترد الجملة من أول (فلما برئ عمرو..)... فى جهازه فى المخطوطة [ب].

زال يُعَدد[١] فضلَ رجال (بنى)[٢] أبى العاص على بنى حرب حتى ابنى عثمان وخالد (ابنى)[٣] عمرو فتمنيتُ أنهما ماتا، فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم[٤].

* أواضع رجْلٍ فوق أخرى تعُدُّنا عديدَ الحصى ما إن (تزال)[٥] تكاثرُ
وأمّكم تُزجِى توامًا لبعلِها وأمّ أخيكُم نَزْرَةُ الولْد عاقر

واشهدْ يا مَروان أنى سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا بلغ ولد الحكمِ ثلاثين رجلا، اتخذوا مالَ الله دُوَلا ودينَ الله دَغْلاً وعبادَ الله خَوَلا».

فكتب إليه مروان: «أما بعد يا معاوية فإنى أبو عَشرة وعم عشرة والسلام»[٦]، وروى عن معاويةَ أنه قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما: «أنشُدك الله يا ابن عباس، أما تعلمَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (يُعَدِد) وفى باقى المخطوطات (يَعد).

(٢) لم ترد (بنى) فى المخطوطة [و]، ووردت فى باقى المخطوطات، وفى المخطوطة [ب] وردت (بنى أبى العباس).

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (ابن) وفى باقى المخطوطات (ابنى).

(٤) انظر: «نسب قريش» للزبيرى ص ١١٠.

(٥) وردت فى المخطوطة [و] تراك وفى باقى المخطوطات (تزال).

(٦) انظر: الزبيرى «نسب قريش» ص ١٠٩ و١١٠، وانظر كذلك الأغانى ج١٣ ص ٢٦١ و٢٦٢ (ط دار الكتب سنة ١٩٥٠) ورد خبر يدور حول نفس المعنى وإن كان لم يَرد فيه ذكر أبيات الشعر الواردة هنا، بل وردت أبيات أخرى برغم أن بوزورث يشير فى تعليقاته إلى وجود الأبيات فى الأغانى ج٢ ص ٨١ وج١٢ ص ٧٣ من طبعة بُولاق، وبمراجعة هذه المواضع فى طبعة بولاق لم نعثر على البيتين ولكن هناك أبيات أخرى وردت فى صُلب خبر يدور حول خلافات دارت بين مروان بن الحكم وأخيه وبين معاوية بن أبى سفيان.

هذا وقد أشار بوزورث فى تعليقاته كذلك إلى أن الدكتور مارتن Martin Hindes يرى أن النهاية التى ختَم بها مروان خطابه (والسلام) بمعنى (وخلاص) فى العامية المصرية، ويَستبعد أن تكون كلمة (السلام) هنا هى التحية الإسلامية التقليدية. فهو يراها كلمة لإقفال باب المناقشة فى الموضوع، وقد أشار بوزورث فى هذا التعليق إلى المرجع الذى اعتمد عليه د. هنز وهو قاموس سبيرو فى ألفاظ العامية المصرية SPIRO, An Arabic English Dictionary of the Collequial Arfic of Egypt, Cairo, 1895, p. 1876.

هذا » يعنى مروان بن الحكم فقال: «أبو الجبابرة الأربعة» - فقال ابن عباس: «اللهم نعم».

وقد اقْتَدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى ولاية الأعمال أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فإنه لما استخلف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ولايةِ الأعمال وارتَدَّت العربُ، قطَعَ رَضى الله عنه البعوثَ، وعقدَ أحدَ عشرَ لواءً على أحد عشر جُنداً، فعقد لخالد بن الوليد المخزومى وبعثه لقتال طُلَيحة بن خويلد الأسدى ثم مالكِ بن نُوَيْرة. وعَقَدَ لعِكْرِمة بن أبى جَهل المخزومى، وبعثه لقتال مُسَيْلِمَة بن ثُمامة بن المطوح بن رَبيعة بن الحارث. وعَقَدَ للمُهاجر بن أبى أُمية المخزومى وبعثه لقتالِ جنودِ الأسود بن كَعْب بن عَوْن العنسى، ومَعونة الأبناء على قيس بن المكشُوح. وعقد لخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وبعثه إلى مشارف الشام، وعقد لعمرو بن العاص وبعثه إلى قُضاعة، وعقد لحذَيْفَة بن مُحصِن العَلْقَانى (من علقان)[1] بن شرحبيل بن عمرو ابن مالك بن يزيد ذى الكلاع وبعثه إلى أهل دَبَا[2] - هى مدينة قديمة من مدن عمان. وعَقَد لعرفَجَة بن هِرْثمة وبعثه إلى مَهَرَة[3]. وبعث شرحبيل بن حَسَنَة فى إثرِ عِكْرِمةَ بن أبى جهل، فإذا فَرِغَ من اليمامة لحق بقضاعة. وعقد لطُرَيْفة بن حاجم وبعثه إلى بنى سليم ومن معهم من هَوَازِن. وعقد لسُوَيد بن مُقْرن بن عائد المزنى وبَعَثَه إلى عامل تهامة[4] * اليمن، وعقد للعلاء بن الحضرمى وبَعَثَه إلى البحرين [5].

---

(١) (من علقان) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) دَبَا: مدينة قديمة من مدن عمان تعرف بقصبة عمان ولها ذكر فى أيام العرب وأخبارهم انظر: ياقوت ج٤ ص٣٠.

(٣) مَهَرة: مدينة باليمن فى ناحية الشَحْر فى المنطقة الساحلية. انظر: القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد ص٦٢.

(٤) فى المخطوطة [و] (وبعثه إلى عامل تهامة) وفى باقى المخطوطات (وبعثه إلى تهامة).

(٥) حول حروب الردة انظر: الطبرى ج٣، ص٣١٧.

فلحق كل أمير بجُنْدِه حتى انقضت حروبُ الردةِ، فبعث أبو بكر رضى الله عنه خالدَ بن الوليد لفتح العراق، وأَرْدَفه بغَيْلَان بن غَنْم بن زُهَيْر بن أبى شداد بن ربيعة بن هِلال بن وهيب الفِهْرى وأمدهما بالقَعْقَاع بن عمرو. وجَهَّزَ الجنودَ إلى الشام فبعث خالدَ بن سعيد بن العاصى وأردفَه بذى الكلاع وعِكْرِمةَ ابن أبى جهل وعمرو بن العاص والوليد بن عتبة. وعقد ليزيد[1] بن أبى سُفْيان بن حَرْب على جيش عظيم هو جمهور من انْتَدب إليه وجَهَّزَه عوضًا عن خالد بن الوليد. وعَقد لأبى عُبَيْدة بن الجرَّاح وبعثه إلى حِمْص. وأمدَّ يزيدَ بن أبى سفيان بأخيه مُعاوية بن أبى سفيان ومعه جيش. فنزل أبو عبيدة الجابية[2]، ونزل يزيدُ البلقاءَ[3]، ونزل شرَحْبيل بن حَسَنَة الأرْدُن وقيل بُصرى[4] ونزل عمرو بن العاص القُريَّات[5]..

ولما مات أبو بكر رضى الله عنه واستخْلفَ من بعدِه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كانت عمالُه على مكةَ نافعُ بن عبدالحارث الخزَاعِى، وعلى الطائف عُثْمانُ بن أبى العاص بن أمية، ثم سُفْيَانُ بن أبى عبد الله الثقفى،

---

(١) توجد إشارة بهامش المخطوطة (ب) أن المخطوطة التى نقلت عنها وردت العبارة التالية: (رضى الله عنه كان خيرًا من أخيه معاوية).

(٢) الجَابية: قرية من أعمال دِمشق ثم من عمل غلجَيْدُور من ناحية الجوْلان قرب مرج الصفر فى شمالى حَوْران وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية ويقال لها جَابية الجوْلان، وكذلك ياقوت ج٣ ص ٣٣.

(٣) البَلْقَاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القُرى فيها عَمَّان وفيها قُرى كثيرة ومزارع واسعة انظر ياقوت ج ٢ ص ٢٧٦ و٢٧٧.

وقد أضاف بوزورث فى تعليقاته أن البلقاء كانت بعد الفتح منزلاً لجماعات من كَلْب وكِنْدة، وأنها أصبحت منتجعًا مفضّلا لخلفاء بنى أمية فأنشئوا فيها عددًا من البوادى أو القصور الريفية، انظر مادة بلقاء فى الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية بقلم (Voil. I, P. (D. Sourdal.

(٤) بصرى المقصود بها هنا الشام وهى قصبة كورة حَوْرَان. أنظر ياقوت ج ٢ ص ٢٠١ - ص ٢١٠.

(٥) ذكر ياقوت أن القُرَيات تدخل فى منازل طيئ على بعد ثلاث أو أربع ليال من شَيْماء وأنت مقبلٌ من وادى القرى. أنظر ياقوت ج ٧ ص ٦٩ - البكرى ج ٣ ص ٩٣٩، ص ١٠٠٢ و١٠٠٣ راجع كذلك تعليقات بوزورث، ومادة قريّات الملح فى دائرة المعارف الإسلامية بقلم نَيْدل ,.F.S. Nidell (Vol. P.) E. 1 .2nded

وعلى اليمن يعلى بن منْيه، وعلى عُمَان واليمامة حُذيفة بن محصن، وعلى البحرين العلاءُ بن الحضرمِى، ثم عثمانُ بن أبى العاصى، وعلى الكوفة سعدُ بن أبى وقاص، ثم المغيرة بن شعبة، ثم عَمّارُ بن ياسر، ثم أبو موسى الأشْعَرِى، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، ثم يزيدُ بن أبى سُفيان، ثم معاوية بن أبى سفيان، وعلى الجزيرة عياض بن غُنْم، وعلى مِصر عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين.

فانظر كيف لم يكن فى عُمالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا فى عُمالِ أبى بكر وعمرَ رضى الله عنهما أحدٌ من بنى هاشم[1]. فهذا وشِبْهُهُ هو الذى حَدَّد أنيابَ بنى أمية، وفتح أبوابَهم، وأترع[2] كأسَهم، وفَتَل أمراسَهم[3] حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزةَ رضى الله عنه فقال: «رحمك الله أبا عمارة * لقد قاتلتنا على أمر صار إلينَا». ورُوى أن الأمر لما أفضى إلى عثمان بن عفان(*)، أتى أبو سفيان قبر حمزة فَرَكَلَه بِرِجْلِه ثم قال: «يا حمزةُ، إن الأمرَ الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد مَلَكْناه اليوم، وكنا أحق به من تيم وعدى».

قال مؤلفه: وما هى إلا الدنيا، وإن الدينَ لعارضٌ فيها والعاجلةُ محبوبة. وبهذا ارتفعت رءوس وخضعت نفوسٌ، فإن دلائل الأمور تَسْبِق وتباشير الخير تُعْرف، ولله فى خلقه قضاء يمضيه، ويأبى الله أن يتم شيئا من أمر الدنيا ويَعْتَرِيه النقصُ.

---

(١) ورد بهامش المخطوطة [ك]: (إنما لم يجعلوا بنى هاشم عمالاً لِشَرَفِهم إذ الشريفُ لا يُشارف وإنما يُبْـق لِيُشاوَرَ فى الأمور المعضلة)، وهى إضافة من الناسخ على الأرجح وقد ذكر بوزورث أن هذه العبارة وردت على هامش مخطوطة ليدن مما يرجح أنها الأصل الذى نقلت عنه مخطوطة دار الكتب.

(٢) وأترع: ملأ.

(٣) امراسَهم: حبَالهم والأمراسُ هى الحبالُ ومفردها مَرَسَه.

فصل[1]

[بنو هاشم وولاية الأعمال]*

.. ولما كانت بنو هاشم من بين قريش كُلها قد[2] اختصها الله سبحانه بهذا الأمر، أعنى الدعوةَ إلى الله تعالى والنبوةَ والكتابَ، فحازت بذلك الشرفَ الباقى، وكانت أحوالُ الدنيا من الخلافة والملك ونحوهِ زائلة، ولهذا زَوَاها[3] الله تعالى عنهم تنبيهًا على شرفِهم وعُلو مقدارِهم، فإن ذلك هو خِيرة الله لنبيه (محمد)[4] صلى الله عليه وسلم.

كما ثَبَتَ أنه صلى الله عليه وسلم لما خُيِّرَ اخْتَار أن يكون نبيًا عبدًا ولم يختر أن يكون نبيًّا ملكًا، وسأل مثل ذلك لآله.

كما قد ثبت فى الصحِيحَيْنِ وغيرهما من حديث عِمارَةَ، عن أبى زَرْعَةَ، عن أبى هُرَيْرَة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ اجعل رزق آل محمد قُوتا»[5].

وروى أبو عيسى الترمذى عن حديث عُبيد الله بن زُحُر، عن على بن يزيد، عن القاسم، عن أبى عبد الرحمن عن أبى أُمامة رضى الله عنه[6]، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «عَرَضَ علَىَّ ربى لِيَجْعلَ لى بطحاءَ مكة ذَهَبًا،

---

(1) وردت كلمة (فصل) فى المخطوطة [و] فقط.

* العنوان من عندنا.

(2) وردت (كلها) فى المخطوطة [و] فقط.

(3) زواها: ذهب بها وزواها عنهم أى حرفها ونحاها.

(4) محمد لم تَرد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(5) فنسنك وآخرون، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ج ٢ ص ٢٥٣.

(6) (رضى الله عنه) وردت فى المخطوطة [و] فقط ولم ترد فى باقى المخطوطات.

قلت : لا يارب (ولكن)[١] أشبع يوما وأجوعُ يومًا - أو قال ثلاثًا أو نحو هذا - فإذا جُعْتُ (تَضرَّعْتُ)[٢] إليك وذَكَرْتُك، وإذا شَبعتُ شَكَرْتُك وحمدْتُك».
وقال الترمذى : هذا حديث حسن[٣].

وخَرَّج البخاريُّ من حديثِ ابن أبى ليلى : «حَدثَنا على رضى الله عنه : أنَّ فاطمةَ عليها السلام اشتكت ما تَلْقى من الرَّحَى مما تَطْحَن، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسَبْى فأتَتْه تسألُه خادمًا * فلم توافقه فذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك عائشة له - فأتانا وقد دَخَلْنَا مضاجِعَنا فذهبنا[٤] لنقوم فقال : على مكَانِكما (فقعد[٥] بيننا) حتى وجدتُ قَدَميه على صدرى فقال : «ألا أدُلُّكما على خير مما (سألْتُما)[٦]، إذا أخذتُما مضاجعكما، فكَبِّرا أربعًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وسبحاه ثلاثًا وثلاثين، (فإن[٧]) ذلك خيرٌ لكما مما سألتُماه. وأخرجه أحمد»[٨].

ولأبى داود من حديث أبى الدرداء، عن على بن أعبد قال : «قال لى على رضى الله عنه : ألا أحدثُك عنى وعن فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت من أحب أهله إليه، قلت : «بلى» قال : «فإنها جَرت بالرَّحى

---

(١) (ولكن) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باق المخطوطات.
(٢) وردت فى المخطوطة [و] (فضرعت) وفى باق المخطوطات (تضرعت).
(٣) المعجم المفهرس جـ ٤ ص ١٧٩.
(٤) وردت فى المخطوطة [و] (فذهبنا) وفى باق المخطوطات (فنبهنا) وما أثبتناه هو ما ورد فى صحيح البخارى جـ٢ ص ١٢٩.
(٥) (فقعد بيننا) لم ترد فى المخطوطتين [ب، ت] ووردت فى المخطوطتين [و، ك] وفى هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أنها غير موجودة فى الأصل الذى نُقلت عنه وأنها مُصَوبة من صَحِيح البخارى وبمراجعة الصحيح وجدناها غيرُ موجودة به.
(٦) وردت فى جميع المخطوطات (سألتما) وفى صحيح البخارى (سألتماه).
(٧) (فإن) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باق المخطوطات وفى صحيح البخارى.
(٨) فى المخطوطة [و] (وأخرجه أحمد) وفى المخطوطة [ب] وأخرجه مسلم أيضًا.

حتى أثَّرَ فى يديها، واستقَت بالقربة حتى أثَّرَ [ت] فى نَحْرِها، وكَنَسَتِ البيتَ حتى اغبرت ثيابُها، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم خدمٌ، فقلت: لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا، فأتته فوجدت عنده حُدَّاثًا فرجعت فأتاها من الغد، فقال: ما كان حاجتك. فسَكَتَتْ، فقلت أنا أُحدثُك يا رسول الله، جَرت بالرَّحى حتى أثرت فى يدِها، وحملت القربة حتى أثَّرت فى نحرِها، فلما أن جاء الخدمُ أمرتُها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا تقيها حَرَّماهى فيه. فقال: اتق الله يا فاطمة وأدى فَريضة ربك واعْمَلى عَمَل أهْلِك، فإذا أخذتِ مَضْجَعَكِ فسَبحى ثلاثًا وثلاثين، واحمدى ثلاثًا وثلاثين، وكبرى أربعا وثلاثين، فهى خيرٌ لكِ من خادم. قالت: رضيت عن الله وعن رسوله».

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عامر بن سعد، عن أبيه، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنى لأُعطى الرجلَ وغَيْرُه أحبُّ إلىَّ منه خشْيةَ أن يُكَبَّ فى النارِ على وجْهِه[1].

وفى رواية: فو الله إنى لأعطى الرجلَ وأدعُ الرجلَ والذى أدعُ أحب إلىَّ من الذى أُعطى، ولكنى أُعطى أقوامًا لما أرى فى قلوبِهم من الجزع والهلع، وأكِلُ[2] أقوامًا إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير».

ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله * عليه وسلم: «فإنى أُعطى رِجالا حَدِيثى عهدٍ بكُفرٍ أتألفُهم»[3].

وروى ابن وهبٍ، عن عَمْرو بن الحارث أن بكر بن (سِوادة)[4]، حدثه أن

---

(١) صحيح مُسلم جـ ١ ص ٩١، ٩٢.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (وأكل) وفى باقى المخطوطات (فأكِل).

(٣) انظر: صحيح مسلم جـ ١ ص ٩١ و٩٢.

(٤) وردت فى المخطوطة [ب] (ابن سيوادة) وفى هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أن هامش الأصل به (ابن جُنارة) وفى المخطوطة [و] وردت (ابن جنادة)، والصحيح: بكر بن سيوادة الجذامى، انظر ابن سعد «طبقات» جـ٧ ص ٥١٤.

أبا سالم الجَيْشَانى حَدَّثَه عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له : «كيف ترى جُعَيْلا[١]. قال : قلتُ : كَشَكْلِه من الناسِ. قال : فكيف ترى فلانًا. قلتُ : سَيِّدًا من ساداتِ الناسِ قال : فجُعَيْل خيرٌ من مِلءِ الأرضِ [ذهبًا][٢] أو ألفًا أو نحو ذلك من فُلان. قال : قلتُ : يا رسول اللهِ ففلان هكذا وأنت تَصْنع به ما تصنع؟ قال : إنه رأسُ قَومِه وأنا أتألَّفُهم به».

قال جَامِعُه : وهذا على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يعلم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَرْبَأُ ببنى هاشم عن[٣] ولايةِ الأعمالِ، كما ثبتَ فى صحيح مُسلم وغيره من حديثِ مالكٍ عن ابن شِهاب أن عبدَ الله بن عبدِ الله بن نَوْفل بن الحارث بن عبدِ المطلب (حَدثهُ أن عبدَ المطلب)[٤] بن ربيعةَ بن الحارث حَدثه قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعباسُ بن عبد المطلب فقالا والله لو بَعَثْنا هذين الغلامين - قال لى وللفضل[٥] بن العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكَلَّماهُ فأمَّرَهُما على هذهِ الصدقات، فَأَدَّيَا ما يُؤدى الناس وأَصَابا مما يُصِيب الناسُ. قال : فبيناهُما فى ذلك جاء علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فوقفَ عليهما فذكرا له (ذلك)[٦] فقال : لا تفعلا، فوالله ما هو بفاعل. فانتحاه[٧] ربيعة بن الحارثِ فقال : والله

---

(١) ورد بهامش المخطوطتين [و، ك] (جُعَيْل بن سُرَاقة الغفارى وقيل الضَمْرى) أ.هـ. وهو جُعَال بن سُرَاقة الضَمْرى وصُغِرَ اسْمه جُعَيْلاً وقد غير الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم اسْمَه يَوْمَ الخندق فسماه عمرا. انظر : ابن سعد جـ ٤ ص ٢٤٥ و ٢٤٦.

(٢) (ذَهَبًا) إضافَةٌ من ناسخ المخطوطة [ك] حتى يستقيم المعنى، ولم تَرِد فى أي من المخطوطات الأخرى.

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (عن) وفى باقى المخطوطات (من).

(٤) (حدثه أن عبد المطلب) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٥) وردت فى المخطوطة [و] (للفضل) وفى باقى المخطوطات (الفضل).

(٦) (ذلك) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٧) ورد بهامش المخطوطة [و] (انتحاه بالحاء المهملة يعنى عَرضَ له وقصده) أ.هـ.

ما تَصْنع هذا إلا نَفَاسةً[١] منك (علينا)،[٢] فوَاللهِ لقد نِلْتَ صِهرَ رسولِ الله ﷺ فما نَفِسْنَاه عليك. قال علي: أرسلوهما فانطلقنا واضطجع، فلما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهرَ سبقناه إلى الحجرَةِ فَقمنا عندَها حتى جاءَ فأخذ بآذاننا ثم قال: أخرجا ما تُسَرِّرَان. ثم دخلَ ودَخَلْنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش. قال: فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسولَ اللهِ أنت أبرُّ الناس وأوصلُ الناس، وقد بلغنا النكاحَ -أو الحلم[٣]- فجئنا لِتُؤَمِّرَنَا على بعضِ هذه الصدقاتِ، فَنُؤدِّيَ إليك كما يُؤَدِّي الناسُ ونُصِيبُ كما يُصِيبون. فسكتَ طويلا حتى أردنا أن نُكلمه، وجعلت ﷺ زينبُ تَلْمَعُ إلينا من وراء الحجاب، أي[٤] لا تُكلِّمَاه. قال: ثم قال: إن الصدقةَ لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخُ الناسِ، ادعوا إلَيَّ مَحْمِية[٥] - وكان على الخُمْس - ونَوْفلَ بن الحارث بن عبد المطلب (فجاءا)[٦] فقال لمحمية: انْكِح هذا الغلام ابنتك - للفضل بن العباس - فأنكحه، وقال لنوفل: أنكح الغلام ابنتك - لي - فأنكحني وقال لِمحمية: أصْدِق عنهما من الخُمس كذا وكذا»[٧].

فهذا أعزكَ الله وإن كان إنما فيه منعُ بني هاشم من تناول الصدقةِ لأنها مُحَرَّمة عليهم، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما كانت أعمالُه التي يستعمل عليها عماله على قسمين، إما للحرب أو على الصدقاتِ، فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو

(١) ورد بهامش المخطوطة [و] (نَفاسةً يعني حسدًا، فما نفسناه أي ما حسدناه).

(٢) (علينا) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات.

(٣) في المخطوطة [و] وردت (أو الحلم)، وفي المخطوطة [ك] وردت (يعني الحلم) ولم ترد في المخطوطتين [ب، ت].

(٤) في المخطوطة [و] (أي) وفي باقي المخطوطات (وإن).

(٥) مَحمية بن جَزْء بن عبد يغوث بن عُوَيْج بن عمرو بن زُبَيْد الأصغر. ابن سعد ج٤ ص١٩٨ و ١٩٩.

(٦) (فجاءا) لم ترد في المخطوطة [و] ووردت في باقي المخطوطات.

(٧) انظر: المعجم المفهرس ج٥، ص٢٦٦.

الصحيح، لأنهم لا يُسْتَعْمَلون عليها تنزيهًا لهم ولبنى المطلب عن أوساخ الناس لكرامتهم.

وقد كان غيرُ واحدٍ من فُضلاءِ الصحابةِ رضى الله عنهم يعلمون أن آلَ البيتِ أرفعُ قَدْراً عند اللهِ من أن يبتليهم بأعمال الدنيا. منهم عبد اللهِ بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، لما خَرَجَ الحسينُ بن على رضى الله عنهما يريد العراقَ وقد كتب إليه شيعتُهم بالبيعةِ وحَثوه على مسيرهِ إليهم ليقوم بأمر الأُمةِ بَدَلَ يزيدَ بن معاويةَ لحق به عبدُ الله على مسيرة ليلتين وقال: «أين تُريد؟» قال: «العراق». قال: لا تأْتِهم قال: «هذه كتبُهم وبيعتُهم». فقال: «إن الله عز وجل خَيَّر نبيه صلى الله عليه وسلم بين الآخرة والدنيا فاختار الآخرة ولم يُرِد الدنيا، وإنَّك بضعة من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، والله لا يَليها أحدٌ منكم ولا[1] صرّفَها الله عنكم إلا للذى هو خيرٌ لكم، فارْجع». فأبى الحسينُ وقال: (هذه كتبُهم وبيعتُهم). فاعتنقه عبد الله بن عمر وقال:[2] «أستودِعُكَ اللهَ من قتيل». فكان كما قال ابن عمر.

وكذلك قال عبدُ اللهِ بن عباس رضى الله عنهما للحسين: «واللهِ يا بنَ أخى ما كان اللهُ ليجمع لكم بين النبوةِ والخلافةِ».

وهذا من فقهِهما.

وقد أشار الحسنُ * بن على رضى الله عنهما[3] إلى ذلك فى خطبته لما ترك الخلافةَ التى صارت إليه بعد أبيه، وتنزه عنها وتَرَفع عن منازعة معاوية رضى الله عنهما، فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يأمرَ الحسنَ فيخطب الناسَ ظنًّا منه أنه يعيًا، فخطب معاوية ثم أشارَ إلى الحسن

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (ولا) وفى باقى المخطوطات (وما).

(٢) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (رضى الله عنهما) وفى باقى المخطوطات (رضى الله عنه).

بأنْ[١] يَخطُبَ فقام فحمد الله ثم قال : «أيها النـاسُ إنّ اللـهَ هَـدَاكُم بـأولنا وحَقَنَ دماءَكُم بآخرِنا، وإنَّ لهذا الأمر مدة، والدنيا دولٌ، وإن اللّهَ عـزَّ وجَـلَّ قال لنبيهِ صلى الله عليه وسلم : ﴿وإن أدْرى لَعَلَّـه فتنـةٌ لـكم ومتــاعٌ إلى حِين﴾[٢]» فلما قالها قال له معاوية : اجلسْ وحَقَدَها على عمرو وقـال : «هـذا من رأيك». فَصَدَقَ الحسنُ (عليه السلام)[٣] فيما قاله.

(١) وردت فى المخطوطة [و] (بان) وفى باق المخطوطات (إن).

(٢) سورة الأنبياء، مَكيَّة (٢١)، الآية ١١١.

(٣) (عليه السلام) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باق المخطوطات.

فصل[1]

[سبب خروج الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم عن على بن أبى طالب]*

ذهب بعضهم إلى أنَّ السر فى خروج الخلافةِ بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عن عَلى بن أبى طالب إلى أبى بكر وعمر[2] وعثمان، أن عليًّا لو ولِىَ الخلافة حينئذ وهو أبو الحسنين لأوشك أنْ يقولَ قائلٌ ويتخيل متخيلٌ أنه مُلْكٌ مُتَوَارَث لا يكون إلا فى آل البيتِ كما تزعم الرافضةُ، فصان اللهُ العقائدَ من هذه الشبهة كما صانَها من شُبهةِ قولِ القائلِ عن النبى صلى الله عليه وسلم، هو رجلٌ يطلب مُلك أبيه[3]. وهو معنى حسنٌ. ولهذا السر جعل صلى الله عليه وسلم الخلافةَ لعامةِ قُريش ولم يَخُص بها أهلَ بيتِه، ولا بنى هاشم حتى لا يتخيل متخيلٌ أنَّه مُلْكٌ متوارثٌ واللهُ سبحانهُ[4] أعلم.

وقد ظَهَر لى أن ولايةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بَنى أمية الأعمال، كانت إشارةً منه صلى الله عليه وسلم إلى أن الأمرَ سيصير إليهم.

ولى بحمد الله فى هذا النحو خير سلف وأجل قدوة، منهم سعيد بن المسيَّب رحمه الله.

---

(١) (فصل) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

* العنوان من عندنا.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (و) وفى باقى المخطوطات (ثم).

(٣) يقصد جَدّه عبد المطلب.

(٤) (سبحانه) وردت فى المخطوطة [و] ولم تَرِدْ فى باقى المخطوطات.

وقـد ثَبَتَ فى الصحيحين من حـديثِ أبى موسى الأَشْعَـرى رضى الله تعالى[١] عنه فى حديثِ جلوس رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر أَريس[٢]، ودخولِ أبى بكرٍ وعمر رضى الله عنهما وجلوسهما عن يمينِه وشمالِـه معه صـلى الله عليه وسلم فى القَفِّ، ودخـولِ عثمانَ بن عفـانٍ رضى الله عنه وجلوسِـه وجـاهِهم فى الشق الآخر، وأن سعيد بن المَسَيَّب قال تَأَولتُ ذلك قبورَهم * اجتمعت ها هنا وانفرد قبرُ عثمانَ رضى الله عنه، وثَبَتَ من حديثِ جابر بن عبد الله (رضى الله عنـه)[٣] أنَّ رسولَ اللهِ صـلى الله عليه وسلم نَحَـرَ فى حِجتِه التى يُقـال لها حِجَـةُ الوداعِ ثلاثًا وستين بَدَنَةً[٤]، فكان فى نَحْرِه هذا العدد من البُـدن إشارةً إلى مُـدةِ حياتِه صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة[٥].

وثَبَتَ من حديثِ أبى سعيد الخُدْرِى رضى الله عنـه أن رسـولَ اللـهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : إنَّ مِنْ[٦] أمَنّ الناسِ عَلَّى فى صُحبتِه وماله (أبو بـكر)[٧]، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خَليلا إلا خلة الإسلام. لا تبقـين فى المسجدِ خَوْخَة[٨] إلا خَوْخَة أبى بكر[٩].

فكان أمرُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بإبقاء خَوْخَة أبى بـكر رضى الله عنه فى المسجدِ مع منع الناسِ كُلهم من ذلك إشارةً ودليـلاً على خـلافته بعـد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنَّ ذلك من رسولِ الله صلى الله عليه وسـلم تنبيهًا للناسِ بأن أبا بكر رضى الله عنه يصير إمام المسلمين، ويخـرج مـن بيتـه إلى المسجدِ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج.

---

(١) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى باقى المخطوطات.

(٢) بئر أَريس : بئر بقباء. انظر : السمهودى، جـ٢، ص٢٥٥ و ٢٥٦.

(٣) البخارى، جـ٢ ص١٨١.

(٤) البَدَنَةُ : ناقة أو بقرة تُنحر بمكة، وكانوا يُسَمنونَها لذلك.

(٥) المعجم المفهرس جـ١ ص١٥٤.

(٦) (من) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٧) وردت فى المخطوطتين [و، ك] (أبا بكر) وهو خطأ.

(٨) خَوْخَة : بابٌ صغير وسط باب كبير نصب حاجزًا بين دارين، وهو كذلك مخترق ما بين كل دارين.

(٩) صحيح البخارى جـ٢ ص٢٠٥.

ذكره ابن بَطَّال.

وقد جعل جمهورُ الصحابةِ رضى الله عنهم استخلافَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فى الصلاة وهو مريض دليلًا وإشارةً إلى أنه الخليفةُ من بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد رَضِيه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟

وثبت فى الصحيح من حديثِ سعيد بن جُبَيْر عن ابنِ عباس رضى الله عنه قال : كان عمرُ رضى الله عنه يُدْخِلنى مع أشياخ بَدْرٍ، فقال بعضُهم : لِمَ يُدْخِل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله، فقال : إنه (مِمَّنْ)[1] قد عَلمتُم، قال فدَعَاهم ذات يوم ودَعَانى مَعهم، وما رأيتُه دَعَانى[2] يومئذ إلا ليُريَهم منى. فقال : ما تقولون فى ﴿إذا جاءَ نصرُ الله والفتح، ورأيتَ الناسَ يَدْخُلون فى دينِ الله أفواجًا[3]﴾ حتى خَتم السورة فقال بعضُهم : أُمِرْنَا أنْ نحمدَ الله ونستغفرُه إذا نَصَرنا وفَتَح علينا. وقال بعضهم : لا ندرى. أولم يَقُلْ بَعْضُهم شيئًا، فقال لى : «يا ابن عباس أكذا هو؟». (قلت : «لا». قال «فما تقول»[4] قلت : هو أجلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم * أعلَمه الله له بقوله : ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتح﴾ فتح مكة فذلك علامةُ أجلِك ﴿فسَبح بحمدِ رَبك واستغفره إنه كان تَوابا﴾ قال عمر : «ما أعلم منها إلا ما تعلم»[5].

فهذا فَهْمُ الصحابةِ والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وهمُ القدوة وبهم الأسْوة وفقنا الله لاتباعهم.

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (من) وفى باقى المخطوطات (ممن).

(٢) وردت فى المخطوطتين [و، ب] (إلا) بعد (دعانى). وفى المخطوطة [ك] إشارة إلى أن الأصل الذى نُقِلَتْ عنه كلمة (إلا) بعد دعانى أنها خطأ.

(٣) سورة النصر، نَزَلت بحجة الوداع بمِنى فتُعد مدنية، ويقال إنها آخر ما نزل من السور، (١١٠) الآيات ١ - ٣.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد فى المخطوطة [و] وورد فى باقى المخطوطات.

(٥) انظر الخبر مع اختلاف فى اللفظ: البخارى جـ٢ ص ١٧٦.

فصل...[1]

[تولى بنى العباس الخلافة]*

إياك والاعتراض على ما تقدم من أخذ بنى العباس بن عبد المطلب بن هاشم الخلافة، وأنهم أقاموا خلفاء نيفا على خمسمائة وعشرين سنة[2]. فإن الخلافة إنما صارت إليهم بعد ما ضعف أمر الدين وتخلخلت أركانه[3] وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة، فأخذها حينئذ بنو العباس بأيدى العجم أهل خراسان، ونالوها بالقوة، ومناهضة الدول، ومساورة[4] الملوك، حتى أزالوا بعجم خراسان دولة بنى أمية وتناولوا العز كيف كان، فما وصل أمر الأمة إلى أهل العدالة والطهارة ولا وليهم ذو الزهادة[5] والعبادة، ولا ساسهم أرباب الورع والأمانة، بل استحالت الخلافة كسروية وقيصرية، بحيث إن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لما وجه أبا مسلم الخراسانى إلى دعاته بخراسان ووصاهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال له: «إنك رجل منا أهل البيت احفظ وصيتى (أنظر)[6] هذا الحى من اليمن فأكرمهم واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم. واتهم ربيعة فى أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار اقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم

---

(١) وردت (فصل) فى المخطوطة [و] فقط.

* العنوان من عندنا.

(٢) فى المخطوطة [ب] (نيفًا على خمسمائة سنة وعشرين سنة)

(٣) فى هامش المخطوطة [ك] (وبعد أن امتزج بنو هاشم بالتزاوج والتناسل مع غيرهم ولم يعودوا من صميم هاشم).

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (مساورة) وفى باقى المخطوطات (مشاورة) والمساورة المصارعة.

(٥) فى المخطوطة [و] (ذو الزهادة) وفى باقى المخطوطات (ذوو الزهادة).

(٦) كلمة غير واضحة فى المخطوطة [و] وفى باقى المخطوطات (أنظر).

بالعربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله،[١] فأين أعزك الله هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم، وتالله لو توجه أبومسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يوصى بهذا، فكيف وإنما توجه إلى دار الإسلام وقاتل أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب لينتزع من أيديهم ما فتحه آباؤهم من أرض الشرك * ليتخذ مال الله دولا وعبيده خولا. فعمل أبو مسلم بوصية (إبراهيم)[٢] الإمام حتى غلب على ممالك خراسان وتخطت عساكره إلى العراق، فيقال إنه قتل ستمائة ألف إنسان، وسار فى الناس بالعسف والجبرية.

فمن سيئ سيرته أنه لما قوى أمره وصار فى عسكر، ودخل مرو فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها، أراد الغدر بنصر بن سيار وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ويقوم بشأنه عند الإمام، فبعث إليه مع لاهز بن قريظ، وسليمان بن كثير، وعمران بن إسماعيل[٣]، وداود بن كراز، يعلمه أن كتابًا أتاه من الإمام يعده فيه ويمنيه، ويضمن له الكرامة ويقول له، إنى أريد مشافهته، واقرأ كتاب الإمام عليه. يريد بذلك أنه إذا أتاه قبض عليه. فلما أتته الرسل تلا لاهز قول الله تعالى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[٤] فتنبه نصر إلى ما أراد من تحذيره، فقال: أنا صائر معكم إلى الأمير أبى مسلم. ودخل بستانًا له (كأنه)[٥] يريد أن يلبس ثيابه، وركب دابته وهرب إلى الرى. وسأل أبو مسلم (عنه)[٦] فأخبر بتلاوة لاهز الآية فقال له: «يا لاهز أعصبية فى الدين، قوما فاضربا عنقه» فضربت عنق لاهز.

---

(١) حول وصية السفاح لأبى مسلم أنظر تاريخ اليعقوبى جـ ص ٢٦١ و ٣٦٢.

(٢) (إبراهيم) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٣) هكذا ورد فى باقى المخطوطات - أما المخطوطة [و] فقد ورد هكذا: عمران بن عثمان إسماعيل.

(٤) سورة القصص، مكية وبعض آياتها مدنية (٢٨)، الآية ٢٠.

(٥) (كأنه) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٦) فى المخطوطة [و] وردت (عليه): وفى باقى المخطوطات (عنه).

وكان سليمان بن كثير الخزاعى أحد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم لأنه كره سيرته، وأخذ عنقود عنب فقال[١] : «اللهم سود وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود وأسقنى دمه». وقال أيضًا : «حفرنا نهرًا بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء». يعنى أبا مسلم. وقتل زياد بن صالح من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن وهذا جائر ظالم يسير بسيرة الجبابرة[٢]، وإنه مخالف. وكان لزياد بلاء حسن فى إقامة الدولة فلم يراع له ذلك. فغضب عيسى بن ماهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبى مسلم سرًا، فاحتال عليه بأن دس عليه بعض ثقاته فقتله[٣]. فكتب إليه أن رسول أمير المؤمنين - يعنى السفاح - قد قدم على الأمير بخلع وبر له وللأولياء فصر إلينا لتشركنا فى أمرنا، فقدم عليه فأخذه، وأدخله * جوالق[٤] وضربه بالخشب حتى قتل.

وكان أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى بخراسان، وكان صديقًا لأبى مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه وكان ذا قدر بخراسان، فلما ظهرت الدعوة قدم على أبى مسلم وقال :

قل للأمير أمين الإمام ... وصى وصى وصى الوصى
أتيتك لا طالبًا حاجة ... ومالى فى أرضكم من كفى

فكان أبو مسلم يبره ويكرمه ثم أمر بقتله. فقيل له : صديقك وأنيسك

فقال : رأيته ذا همة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثا. وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدت على السرير، ولقد كان على كريمًا وكنت له محبًا. فعير أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيره به لمَّا عزم على قتله.

---

(١) وردت فى المخطوطة [و] (فقال) وفى باقى المخطوطات وقال.
(٢) وردت فى المخطوطة [و] (بسيرة) وفى باقى المخطوطات (بسير).
(٣) وردت فى باقى المخطوطات (دس إلى بعض ثقاته بقتله).
(٤) جوالق : وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما وهو الشوال بالعامية.

وكان أبو مسلم يخدم يونس بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان بأربعمائة درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام، فلما ملك أبو مسلم مرو، قدم عليه يونس ابن عاصم فأكرمه غاية الإكرام، ثم دس إليه رجلا فقال سله عن حاله عندى، ولم أكرمته؟ فسأله، فقال: كنت قهرمانًا له ناصحًا. فقال له أبو مسلم: أبيت إلا كرمًا فقال: يا بن اللخناء[1]، أردت أن أقول إنك كنت لى خادمًا فتقتلنى فبالله أسألك لو لم أقلب المعنى ما كنت فاعلا قال: قد والله كنت قدزت موضع (خشيتك)[2]. قال: أكان هذا جزائى؟ قال: ومن جازيناه بجزائه وضعت سيفى، فلم يبق بر ولا فاجر إلا قتله. ومثل هذا كثير.

وما زال يسعى بجهده حتى أزال دولة بنى أمية، وأقيم عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح، فبعث عمه عبد الله بن على لقتال مروان بن محمد فقتله وبطش فى أهل الشام بطش الجبارين، وسار فى الجور سيرة لم يسرها أحد قبله. وذلك أنه لما هزم مروان بالزاب وغلبه على بلاد الشام وقتل أهل دمشق وهدم سورها، وسار إلى فلسطين نادى وهو على نهر أبى فطرس[3] فى بنى أمية بالأمان فاجتمعوا إليه فعجلته الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم، وقتل عبد الله جماعة * منهم ومن أشياعهم. وأمر بنبش قبر معاوية بن أبى سفيان فما وجد منه إلا خط، ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد فيه سلاميات رجله، ووجد من عبد الملك بن مروان بعض شئون رأسه ولم يوجد من الوليد وسليمان ابنى عبد الملك إلا رفات، ووجد هشام صحيحًا إلا شيئًا من أنفه وشيئًا من صدغه، فضرب عدة سياط وصلب، ووجدت جمجمة مسلمة بن عبد الملك فاتخذت غرضا حتى تناثرت، ولم يعرض لعمر بن عبد العزيز وجمع ما وجد فى القبور وأحرق.

---

(١) ابن اللخناء: ابن النتنة.

(٢) وردت فى المخطوطتين [ط، و] (خشيتك) وفى المخطوطتين [ك، ن] (خشبتك) يريد صلبتك.

(٣) نهر أبى فطرس، نهر قرب الرملة بفلسطين، ياقوت الحموى جـ٦ ص ٣٨٦.

وخطب عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان زوج هشام ابن عبد الملك بن مروان، فأبت عليه التزويج، فأمر بها، فبقر بطنها، وجعلت حين أتى بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد :

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبد الله بن على.

وولى السفاح ابن أخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على (بن عبد الله)[١] سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل فدخلها فى اثنى عشر ألفًا، فأول ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثنى عشر رجلا، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح، فنادى من دخل الجامع فهو آمن، فأتاه الناس يهرعون إليه، فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلا ذريعًا تجاوز فيه الحد وأسرف فى المقدار، فيقال إنه قتل أحد عشر ألف إنسان ممن له خاتم سوى من ليس فى يده خاتم وهم عدد كثير جدًا، بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمائة رجل صدموا[٢] الجند فأفرجوا لهم. فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فأمر من الغد بقتلهن، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان. وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجى، فأخذوا النساء قهرًا، فلما فرغ إبراهيم من قتل الناس فى اليوم الثالث، ركب فى اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة، فأخذت امرأة بلجام دابته فأراد أصحابه قتلها فكفهم عنها، فقالت له : * ألست من بنى هاشم؟ ألست ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحن الزنوج؟ فلم يجبها، وبعث معها من يبلغها مأمنها، ثم جمع من الغد الزنوج

---

(١) (بن عبد الله) وردت فى جميع المخطوطات ماعدا المخطوطة [و].
هذا وتذكر المصادر أن السفاح اختار أخيه وليس ابن أخيه مكان محمد بن سليمان الذى طرده أهل الموصل سنة ١٣٢ هـ/سنة ٧٤٩م.
انظر اليعقوبى جـ٢ ص٣٥٧ - الأزدى تاريخ الموصل ص١٤٥.

(٢) صدموا : دفعوا.

للعطاء وقتلهم عن آخرهم. ثم أمر بأن لا يترك فى الموصل ديك إلا ذبح، ولا كلب إلا عقر، فنفذ ذلك فكانت هذه فعلة لم يسمع بأقبح منها إلا ما كان من السفاح، فإن زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية[1] قالت: يا أمير المؤمنين لأى شيء استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف. فقال لها: وحياتك ما أدرى، ولم يكن عنده من إنكار هذا الأمر الفظيع سوى هذا[2].

ولعمرى لقد فاق فرعون فى فساده وأربى عليه فى عتوه وعناده، وأن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمة محمد صلى الله عليه وسلم من سوء العذاب أشد وأقبح ما كان فرعون يسوم بنى إسرائيل (منه)[3]، فكيف بها إذا ضُمت مع ما حكاه البلاذرى قال: كان أبو العباس (يعنى)[4] السفاح يسمع الغناء، فإذا قال للمغنى أحسنت لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة. فقيل له: إن الخلافة جليلة فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجب عنهم، وكانت صلاته قائمة لهم.

فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى؟ فما أبعدهم عن هداهم! ولله در القائل:

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وأما أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فإنه تزيًّا بزى الأكاسرة، وجعل أبناء فارس رجال[5] دولتهم كبنى برمك وبنى نوبخت، وأحدث تقبيل الأرض،

---

(١) وهى التى انجبت للسفاح ابنته ريطة التى تزوجت المهدى بن المنصور ثالث خلفاء بنى العباس. انظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء جـ٢ ص٢٥٥ - ٢٥٧.

(٢) حول تفاصيل هذا الخبر انظر: الأزدى ص١٤٥ - ١٥٤.

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (به) وفى باقى المخطوطات (منه).

(٤) (يعنى) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٥) وردت فى المخطوطة [و] (رجال) وفى باقى المخطوطات رجالات.

وتحجب عن الرعية وترفع عليهم. بحيث إن عقال بن شبه قال له : «أحمد الله فقد حزت هدى الخلفاء». فغضب المنصور وقال : «كبرت يا عقال وكبر كلامك»[1]. ففطن وقال : «أجل لقد أحزن سهلى[2] واضطرب عقلى وأنكرنى أهلى ولا أقوم هذا المقام بعد يومى» * فلم يعش المنصور بعد ذلك إلا شهرين وأيامًا. وحتى أن الربيع حاجبه ضرب رجلا شمت المنصور عند العطسة، فلما شكا ذلك إلى المنصور قال : «أصاب الرجل السنة وأخطأ الأدب» فأين قول أبى جعفر هذا من حديث النبوة الناطقة و «الإمامة»[3] الصادقة ؟ ووالله ما الأدب كله إلا فى السنة النبوية (فإنها)[4] هى الجامعة للأدب النبوى والأمر الإلهى. لكنه غلب على القوم الجبروت ودخلت النعرة فى إنافهم، وظهرت الخنزوانية[5] بينهم فسموا عوائد العجم أدبًا، وقدموها على السنة التى هى ثمرة النبوة، فزادهم ذلك جفاءً وقسوة، حتى أن أبا جعفر كان ممن بايع محمد ابن عبد الله بن الحسن بن [الحسن بن] على بن أبى طالب رضى الله عنهم ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الإمامة، وذلك حين اضطربت (أمور)[6] بنى أمية. فلما أقيم أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح فى الخلافة وعهد بها عند وفاته لأخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر، أهمه أمر محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم وألح على أبيهما عبد الله بن الحسن أن يحضرهما إليه لما حج، وكان قد شردهما خوف جوره.

ثم حبس عبد الله وعدة من بنى حسن، ومعهم محمد الديباج بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان، وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت أبى عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين، وجعل القيود والأغلال

---

(١) يقترح بوزورث قوس فى ترجمته للنزاع والتخاصم قراءة العبارة (لقد كبرت يا عقال وكثر كلامك).

(٢) أحزن، خشن : والحزونة بمعنى الخشونة وهى عكس السهولة.

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (الأمانة) وفى باقى المخطوطات (الإمامة).

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (وإنها) وفى باقى المخطوطات (فإنها).

(٥) الخنزوانية : الكبر.

(٦) (أمور) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

فى أرجلهم وأعناقهم، وأركبهم محامل بغير وطاء، وسار بهم كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذة[١]. فأمر بالديباج فشقت عنه ثيابه. وضرب خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه، فقال: «ويحك أكفف عن وجهى، فإنه له حرمة (برسول)[٢] الله صلى الله عليه وسلم. فقال المنصور للجلاد: «الرأس، الرأس» فضُرب على رأسه نحوًا من ثلاثين سوطًا، فأصاب إحدى عينيه سوط منها فسالت على خده ثم قتله.

ومضى ببنى حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة[٣] وأحضر محمد بن إبراهيم بن حسن وأقامه ثم بنى عليه أسطوانة وهو حى * وتركه حتى مات جوعًا وعطشًا. ثم قتل أكثر من معه من بنى حسن. وكان إبراهيم الغمر بن الحسن (بن الحسن)[٤] بن على بن أبى طالب فيمن حمل مصفدًا بالحديد من المدينة إلى الأنبار، فكان[٥] يقول لأخويه عبد الله والحسن: أعوذ بالله من منايا طيهن منايا، (تمنينا)[٦] ذهاب سلطان بنى أمية واستبشرنا بسلطان بنى العباس، ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه.

وقد قتل أبو جعفر أيضًا إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر، ومحمد بن إبراهيم قيل دفنه حيًّا[٧].

وكان لأبى القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ضيعة

(١) الربذة من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال إلى الشرق قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، انظر: ياقوت الحموى جـ٤ ص٢٢٢.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (رسول) وفى باقى المخطوطات (برسول).

(٣) قصر بن هبيرة: ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، وكان لما ولى العراق من قبل مروان بن محمد، بنى على فرات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمها حتى كتب مروان بن محمد يأمر بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة، فتركها وبنى قصره والمعروف به بالقرب من جسر سورا، وقد أكمل السفاح هذا البناء وسماه الهاشمية ولكن الناس ظلوا يطلقون عليه قصر ابن هبيرة. انظر: ياقوت جـ٧ ص ١١١ و١١٢.

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (بن الحسين) وفى باقى المخطوطات (بن الحسن) وهو الصحيح.

(٥) وردت فى المخطوطة [و] (فكان) وفى باقى المخطوطات (وكان).

(٦) وردت فى المخطوطة [و] (ما تمنينا) وفى باقى المخطوطات (تمنينا).

(٧) انظر: الأصفهانى - مقاتل الطالبيين ص١٧٨ وما بعدها - وابن عبد ربه جـ٥ ص٧٤، ص٩٠.

بالمدينة يقال لها الرس، فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام بها حتى طلبه ففر إلى السند وقال :

لم يروه ما أراق البغى من دمنا ... فى كل أرض ولم يقصر عن الطلب
وليس يشفى غليلا فى حشاه سوى ... ألا يرى فوقها ابن لبنت نبى

وكتب صاحب السند إلى أبى جعفر أنه وجد فى خان بالمولتان[1] مكتوبًا يقول : [أبو] القاسم بن إبراهيم طباطبا العلوى، انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن انتعلت الدم من المشى وقد قلت :

عسى منهل يصفو فتروى ظميه ... أطال صداها المشرب المتكدر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه ... سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صوراً أمسى لها الجور حاقنا ... سيبعثها عدل يجىء فتظهر
عسى الله لا تيأس من الله إنه ... بيسر منه ما يعز ويعسر

فكتب إليه قد فهمت كتابك، وأنا وعلى وأهله كما قيل :

تحاول إذلال العزيز لأنه ... بدانا بظلم واستمرت مرايره

واستحلف ريطة[2] امرأة ابنه محمد بن المهدى ألا تفتح بيتًا عرضه عليها إلا مع المهدى بعد وفاته. ففتحته مع المهدى فإذا فيه من قتل من الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وفيهم أطفال، فأمر المهدى فحفرت لهم حفرة ودفنوا فيها.

فأين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة * المحمدية وسيرة أئمة الهدى؟ وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوة؟ وتالله ما هذا من الدين فى شىء بل هو من باب قول الله سبحانه : ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن

(١) المولتان : بلد من بلاد الهند بها معبد لصنم أطلق اسمه على المدينة حسبما يذكر ياقوت جـ ٨ ص ٢٠١ و٢٠٢

(٢) ريطة ابنة السفاح.

تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾[١].

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدرًا وأعظمهم غناءً، وهو الذى أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمة حفص بن سليان الخلال وحرسه وقام بأمره حتى بويع بالخلافة، فكان أبو العباس يعرف له ذلك، وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه، فلما استخلف أبو جعفر المنصور، وجار فى أحكامه، قال أبو الجهم : ما على هذا (بايعناهم)[٢] إنما بايعناهم على العدل. فأسرها أبو جعفر فى نفسه ودعاه ذات يوم، فتغدى عنده ثم سقاه شربة من سويق (لوز)، فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سُم، فوثب، فقال : له المنصور : إلى أين يا أبا الجهم؟ فقال : إلى حيث أرسلتنى. ومات بعد يومين[٣]. فقيل :

فحاذر سويق اللوز لا تشربنه ... فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

وأما غدره بأبى مسلم فغير خاف على رواة الأخبار، وكان أشد ما يحقده عليه كتابه إليه : « أما بعد، فإنى اتخذت أخاك إمامًا، وكان فى قرابته برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحله من العلم على ما كان، ثم استخف بالقرآن وحرفه، طمعًا فى قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلت له ضلالته على صورة العدل، فأمرنى أن أجرد السيف وآخذ بالظنة ولا أقبل معذرة، وأن أسقم البرىء وأبرئ السقيم وأثر أهل الدين فى دينهم وأوطأنى فى غيرهم من أهل بيتكم العشوة[٤] بالإفك والعدوان، ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذنى

---

(١) سورة محمد، مدينة (٤٧)، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (بايعناه) وفى باقى المخطوطات (بايعناهم).

(٣) وردت فى المخطوطة [و] (بعد يومين) وفى باقى المخطوطات (بعد يوم أو يومين)، هذا وقد ورد الخبر عند الجهشيارى على أنه سقاه سويق الموز، الجهشيارى «كتاب الوزراء والكتاب» ص ١٣٦ و١٣٧.

(٤) العشوة : ركوب الأمر على غير بيان.

بالتوبة وكره إلىّ الحوبة[١]، فإن يعفو فقديما يعرف ذلك منه، وإن يعاقب فبذنوبى، وما الله بظلام للعبيد»، فكتب إليه أبو جعفر: «فهمت[٢] * كتابك للمدل على أهل بيته بطاعته ونصرته ومحاماته، (وجميل بلائه)[٣] مقال، ولم يرك الله فى طاعتنا إلا ما تحب، فراجع حسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما أنكرته إلى التجنى، فإن (المغيظ)[٤] ربما تعدى فى القول (فأخبر[٥]) بما لا يعلم، والله ولى توفيقك وتسديدك، فاقدم رحمك الله مبسوط اليد فى أمرنا محكما فيا هويت (الحكم فيه)[٦] ولا تشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله تعالى»[٧]. وقدم[٨] عليه وقتله[٩].

فانظر أعزك الله إلى كتاب أبى مسلم يفصح لك عن سيرة القوم، ولن تجد أخبر بهم منه، ثم انظر كتاب أبى جعفر جوابًا له كيف لم ينكر عليه ما رماهم به ولا كذبه فى دعواه ذلك يحقق عندك صدقه، ولا يوحشنك هذا من إخبارهم بل ضمه إلى وصية إبراهيم الإمام، تجدهما خرجا[١٠] من آل واحد[١١].

وكان عبد الله بن (داذويه)[١٢] - وهو المقفع - قد كتب لعبد الله بن على

---

(١) الحوبة: الأثم.

(٢) فى المخطوطة [و] (فهمت) وفى باقى المخطوطات (قد فهمت).

(٣) (وجميل بلائه) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (الغيظ) وفى باقى المخطوطات (المغيظ).

(٥) وردت فى المخطوطة [و] (فأخبره) وفى باقى المخطوطات (فأخبر).

(٦) (الحكم فيه) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٧) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] فقط.

(٨) وردت فى المخطوطة [و] (وقدم) وفى باقى المخطوطات (فقدم).

(٩) انظر الطبرى «تاريخ» جـ ٧ ص ٤٧٩ وما بعدها.

(١٠) وردت فى المخطوطة [و] (وخرجا) وفى باقى المخطوطات (قد خرجا).

(١١) آل: حلف أو عهد أو قرابة أو نسب.

(١٢) وردت فى جميع المخطوطات «بن دادبة» وهو خطأ والصحيح ما أوردناه أنظر ترجمة ابن المقفع: ابن خلكان «وفيات الأعيان» جـ ٢ ص ١٥١ وص ١٥٥. وابن النديم «الفهرست» ص ١١٨.

أمانًا حين أجاب أبو جعفر إلى أمانه فكان فيه : « فإن عبدَ الله[١] عبد الله أمير المؤمنين (إن)[٢] لم يف بما جعل لعبد الله بن على، فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته ». فأنكر أبو جعفر ذلك وأكبره واشتد غيظه[٣] على ابن المقفع، وكتب إلى سفيان بن معاوية عامله على البصرة : « اكفنى ابن المقفع »، ويقال إنه شافهه بذلك عند توديعه إياه. فجاءه ابن المقفع يومًا فأدخله حجرة ثم سجر له تنورًا[٤] وألقاه فيه وهو يصيح : « يا أعوان الظلمة ».

وقيل إنه ألق فى بئر وأطبق عليه حجر، وقيل أدخل حماما فلم يزل فيه حتى مات، وقيل دقت عنقه، وقطع عضوًا عضوًا وألقيت أعضاؤه فى النار وهو يراها[٥] ويصيح صياحًا شديدًا، وقيل ألق فى بئر النورة فى الحمام وأطبق عليه صخرة فمات.

وشكا بنو على بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى أبى جعفر المنصور، فأمر بحمل سفيان إليه، فلما جىء به وجاء عيسى بن على وغيره (ليشهدوا)[٦] عليه أن ابن المقفع دخل داره (فلم يخرج)[٧] وحرقت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه وجاء عيسى بتاجرين (يثبتان)[٨] * الشهادة على قتله. فقال لهم المنصور : أرأيتكم إن أخرجت ابن المقفع إليكم ماذا تقولون ؟ فانكسروا على الشهادة، وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع.

---

(١) فى المخطوطة [ت] وردت (عبد الله أمير المؤمنين) وفى المخطوطة [ب] وردت (عبد الله عبد الله أمير المؤمنين) وفى المخطوطة [ك] (عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين) مع إشارة فى الهامش إلى أن (بن) لم ترد فى الأصل، أما فى المخطوطة [و] وردت فيها (عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين).

(٢) (إن) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٣) وردت فى المخطوطة [ب] (واشتد له غيظه).

(٤) سجر التنور : ملأه وقودًا وأحماه.

(٥) فى المخطوطة [و] (يراها) وفى باقى المخطوطات (يراه).

(٦) فى المخطوطة [و] (ليشهدون) وفى باقى المخطوطات (ليشهدوا).

(٧) (فلم يخرج) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٨) وردت فى جميع المخطوطات (يثبتون).

وكان سديف بن ميمون مولى (آل أبى لهب)[1] مائلاً إلى أبى جعفر، فلما استخلف وصله بألف دينار. ثم إنه اتصل بمحمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن حتى قتلا فاختفى حتى أمنه عبد الصمد بن على والى المدينة، فلما قدمها أبو جعفر جد فى طلبه حتى ظفر به، فجعله فى جوالق، وضرب حتى كسر ثم رمى به فى بئر وبه رمق حتى مات.

فهذا وأمثاله من سيرته خلاف سنن الهدى.

وكان الفضل بن الربيع يمنع عائد الخليفة أن يسأل عن شىء يقتضى جوابًا ويقول اجعلوا عبادتكم دعاء، فإذا أردت أن تقول كيف أصبح الأمير فقل صبح الله الأمير بالكرامة. وإن أردت السؤال عن حاله فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب، وإن لم يجبك اشتد عليك، وإن أجابك اشتد عليه. وكان الخلفاء إذا عطسوا شمتوا، فعطس هارون الرشيد فشمته رجل فقال له الفضل: «لا تعد، أتكلف أمير المؤمنين ردًّا وجوابًا»؟. فجروا على ذلك فيما بعد.

وهذا المأمون عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر فى الإسلام أقبح أثر، وهو أنه عرب كتب الفلسفة، حتى كاد بها أهل الزيغ والإلحاد الإسلام وأهله، وحمل مع ذلك الناس كافة على القول بخلق القرآن، وامتحنهم فيه أشد محنة. وأكثر من شراء الأتراك، وتغالى فى أثمانهم حتى كان يشترى المملوك منهم بمائتى ألف درهم.

واقتدى به أخوه أبو إسحاق المعتصم، فاشتد على الناس فى امتحانهم

---

(١) فى المخطوطة [ب] (مولى آل أبى لهب) مع إشارة فى هامش المخطوطة [ك] أن بهامش الأصل (آل المهلب) وفى المخطوطة [و] (مولى آل المهلب) والصحيح ما أثبتنا فى النص. فسديف بن ميمون فى الأصل مولى لخزاعة وكان سبب ادعائه ولاء بنى هاشم أنه تزوج مولاة لآل أبى لهب فادعى ولاءهم ودخل فى جملة مواليهم على الأيام وقيل بل أبوه هو الذى كان متزوجًا مولاة من آل أبى لهب. وسديف شاعر من مخضرمى الدولتين، وهو شاعر مقل من شعراء الحجاز كان شديد التعصب لبنى هاشم الأغانى ج ١٤ ص ١٦٢ طبعة بولاق.

بالقول بخلق القرآن، وانتهك أعراضهم، وبرح الضرب الشديد أبشارهم، وأخرج العرب قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أقام الله بهم دين الإسلام من الديوان وأسقط عطاءهم، فسقط، ولم يفرض لهم بعده عطاء، وأقام بدلهم الأتراك، * وخلع لباس العرب وزيهم، ولبس التاج، وتزيًّا بزى العجم الذين بعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقتالهم، فزالت به وعلى يديه الدولة العربية، وتحكم منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين أنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فغلبوا من بعده على الممالك وسلطهم الله على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه، ثم قتلوا ابن ابنه أحمد المستعين، وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها.

وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم فى خلافته من الانهماك فى الترف المنهى (عنه)[1] ما يقبح مثله من آحاد الرعية، وجهر بالسوء من القول من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، حتى قتله الله بيد أعوانه (وأنصار دولته، فقام من بعده ابنه محمد المنتصر فأتى ببطاقة[2] لم يسمع فى الجور نظيرها)[3] وهو أنه كتب إلى (الآفاق)[4] بأن لا يقبل علوى ضيعة، ولا يركب فرسًا إلى طرف من الأطراف، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد، ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه، ولم يطالب[5] ببينة. وقرئ هذا الكتاب على منبر مصر[6].

---

(١) (عنه) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) وردت فى المخطوطة [ت] (بطامة) وفى المخطوطتين [ك، ب] (بطاقة).

(٣) العبار الواردة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) مكان كلمة (الآفاق) بياض فى المخطوطة [و] ووردت الكلمة فى باقى المخطوطات.

(٥) وردت فى المخطوطة [ب] (يطلب) وفى [ك] إشارة إلى أن الأصل الذى نقلت عنه وردت به (يطلب)، وقد صححها الناسخ.

(٦) لو رفعنا العبارات الزائدة عن المخطوطة لأصبح الكلام منصبًا على المتوكل، والمتوكل كان قد منع الحج إلى مزارات أهل البيت وهدم بإزالة قبر الحسين، فى حين كانت سياسة المنتصر عكس سياسة أبيه، فألغى كل التحريمات ضد العلويين، وأعاد لهم فدك وبعض الأوقاف المصادرة الأخرى، ولذلك مدحه بعض الشعراء المعاصرين له مثل البحترى الذى قال فيه :

فبالله هل سمع فى أخبار الجبارين[1] أهل العناء والشقاق بمثل ما أمر به هذا الجائر؟ (لا جرم أن الله أخذه ولم يمهله فكانت دولته ستة أشهر[2])، وما زالت أمور الإسلام تتلاشى والدولة تضعف، إلى أن انتقل الملك والدولة فى آخر أيام المتقى إبراهيم بن جعفر المقتدر، وأول أيام خلافة المستكفى عبد الله ابن المكتفى من بنى العباس إلى بنى بويه الديلمى[3]، فلم يبق بيد بنى العباس من الخلافة إلا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك، بحيث صار الخليفة منهم فى مدة الدولة البويهية ثم فى مدة الدولة السلجوقية إنما هو كأنه رئيس الإسلام، لا أنه ملك ولا حاكم، تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكم المالك فى مملوكه كما هو معروف فى كتب التاريخ[4].

ومازالت ضعفة[5] بنى العباس مع الديلم، ومع الأتراك، منذ استولى معز الدولة أحمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم * إلى أن قتلوا عن آخرهم، وسبى حريمهم، وهدمت قصورهم وهلكت

---

* وإن عليًا لأولى بكم وأزكى يدًا عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو ل يوم التراهن دون الغرر

كما مدحه من شعراء الشيعة يزيد بن محمد المهلب الشيعى فقال:

ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم حتى نسوا الأحقاد والأضغانا

وإذا كان الطبرى لم يذكر أعمال المنتصر فى رد حقوق العلويين إلا أنه ذكر واقعة تعيينه أحد العلويين عاملا له على المدينة، وهو على بن الحسين بن إسماعيل وكلفه بالعناية بأمور العلويين هذا وقد تشكك بوزورث فى تعليقاته فى صحة المعلومات الواردة فى المتن، أنظر الطبرى: ج ٩ ص ١٨٥، ص ٢٥٤ - المسعودى ج ٢ ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(١) وردت فى المخطوطة [و] (الجبارين) وفى المخطوطة [ب] (الجائرين).

(٢) العبارة بين القوسين لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٣) وردت فى المخطوطتين [ت، ب] (الديلم) وفى المخطوطتين [و، ك] (الديلمى) مع إشارة فى هامش المخطوطة [ك] إلى أنها وردت فى الأصل الديلم.

(٤) يردد المقريزى هنا حكم أصدره البيرونى فى كتاب الآثار الباقية ص ١٣٢.

(٥) (ضعفة) وردت بجميع المخطوطات ما عدا المخطوطة [و] فقد أضيفت بهامشها.

رعاياهم على يد عدو الله هولاكو، وكانوا هم السبب فى ذلك على ما ذكرته[١] فى سيرة الناصر أحمد بن المستضىء.

وقد ثبت فى الصحيح من حديث معاوية أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»[٢].

وروى وكيع عن كامل أبى العلاء[٣] عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معشر قريش إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالاً تخرجكم منه، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه فالتحوكم[٤] كما يلتحى القضيب[٥]» وهو حديث [٦] مرسل. وعبيد الله هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وأبو عبد الله الهذلى المدنى الأعمى أحد الفقهاء السبعة، مات سنة تسع وتسعين.

---

(١) وردت فى المخطوطة [ر] (وذلك على ما ذكرته) وفى باقى المخطوطات (كما قد ذكر).

(٢) انظر: صحيح البخارى جـ ٢ ص ١٦٤ جـ ٤ ص ١٤٣.

(٣) صحح بوزورث الأسم إلى كامل بن العلاء التميمى نقلاً عن ابن سعد، والأسم كما ذكره بوزورث موجود فى ابن سعد «طبقات» جـ ٦ ص ٣٧٩. وبمراجعة ابن حجر جـ ٨ ص ٤٠٩ وص ٤١٠ يذكر أن اسمه كامل بن العلاء التميمى السعدى أبو العلاء.

(٤) التحوكم كما يلتحى القضيب أى قشروكم.

(٥) أنظر أحمد بن حنبل فى المسند جـ ٦ ص ١٧٦ حديث رقم ٤٩٨.

(٦) حديث مرسل أى حديث مروى عن أحد التابعين دون أحد الصحابة.

فصل[1]

[الخلافة الإسلامية والملة الموسوية]*

وقد اتفق فى الخلافة الإسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة.

وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قطحان وعدنان، فيقال لسائر اليمن قحطان ويقال لسائر بنى عدنان المضرية والنزارية وهى قيس. والعرب كلها على ست طبقات : شعوب وقبائل وعمائر وبطون وأفخاذ وفصائل وما بينها من الآباء يعرفها أهلها. قال الله تعالى[2]: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾[3].

فالشعوب جمع شعب بفتح الشين، وهو أكبر من القبيلة، وقيل الشعب هو الحى العظيم مثل : ربيعة، ومضر، والأوس، والخزرج، سموا بذلك لتشعبهم واجتماعهم كتشعب أغصان الشجر. وقيل الشعب القبيلة نفسها. وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبى.

والقبائل جمع قبيلة، والقبيلة من الناس بنو أب واحد، وهى دون الشعب كبكر من ربيعة، وتميم من مضر * وقيل القبيلة الجماعة التى تكون من واحد، ويقال لكل جمع على شىء واحد قبيل. قال تعالى : ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[4] واشتقت القبيلة من قبائل الشجر وهى أغصانها، وقيل أخذت من قبائل الرأس وهى أطباقه الأربع.

---

(١) كلمة «فصل» لم ترد إلا فى المخطوطة [و] فقط.

* العنوان من عندنا.

(٢) فى المخطوطة [و] (تعالى) وفى باقى المخطوطات (جلت قدرته).

(٣) سورة الحجرات، مدنية (٤٩)، الآية ١٣.

(٤) سورة الأعراف، مكية (٧)، الآية ٢٧.

وقيل إن العمائر تقابلت عليها، والعمائر واحدها عمارة وهى أصغر من القبيلة، وقيل العمارة هى الحى العظيم الذى يقوم بنفسه فدوادان[١] بن أسد عمارة.

والشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطون واحدها بطن، وهو دون القبيلة وقيل دون الفخذ وفوق العمارة، فالبطن يجمع بين الأفخاذ، وفخذ الرجل حيه من أقرب عشيرته إليه، ثم الفخذ يجمع الفصائل، وفصيلة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون، وقيل الفصيلة أقرب آباء الرجل إليه، فكنانة قبيلة وقريش عمارة، وقصى بطن، وهاشم فخذ، وبنو العباس فصيلة.

[بنو إسرائيل]*

وكما أن الله تعالى[٢] جعل العرب شعوبًا وقبائل (فقد)[٣] جعل بنى إسرائيل أسباطًا، فالسبط من بنى إسرائيل كالقبيلة من العرب، وبنو إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم (اثنا)[٤] عشر سبطًا وهم : يوسف النبى، وبنيامين، وكاد، ويهوذا، ونفتالى، وزبولون، وشمعون، وروبين، ويساخار، ولاوى، وزان، وياشير، فكل ولد من هؤلاء الأثنى عشر يقال له سبط، ومنهم كلهم سائر بنى إسرائيل.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن موسى صلوات الله عليه، هو موسى بن عمران

---

(١) دوادان بن أسد بن خزيمة، جمهرة أنساب العرب، ص ١٩٠، ص ١٩٢.

* العنوان موجود فى المخطوطة [و] بهذه الصورة والصحيح بنو إسرائيل.

(٢) (تعالى) وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى باقى المخطوطات.

(٣) (فقد) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٤) وردت فى المخطوطة [و] (اثنى) وفى باقى المخطوطات (اثنا).

ابن هافت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام فهو من سبط لاوى، فلما مات لم يخلفه فى بنى إسرائيل أحد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة، وإنما خلفه يوشع، وهو من سبط أفرائم بن يوسف وهو بعيد عن سبط لاوى، وذلك أن يوشع * بن نون عليه السلام بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راسف بن بريعا بن أفرائم بن يوسف النبى بن يعقوب عليهما السلام.

[نسب النبي صلى الله عليه وسلم]*

وهكذا وقع فى الإسلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيد بنى هاشم، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف فى ذلك.

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يخلفه فى أمته أحد من بنى هاشم الذين هم أقرب العرب إليه، بل خلفه صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وهو من بنى تيم بن مرة، فانظر كيف كان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البعد من جذم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبعد يوشع من أصل موسى عليه السلام. فإن أبا بكر رضى الله عنه إنما يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب بن لؤى بعد عدة آباء، وكذلك يوشع إنما يلتقى مع موسى فى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بعد عدة آباء.

وكما أنه قام بأمر بنى إسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعة مختلفو

---

* العنوان بالمخطوطة [و].

الأنساب بعضهم من سبط يهوذا وبعضهم من سبط يشاخار وبعضهم من سبط بنيامين، وبعضهم من سبط منشا بن يوسف وبعضهم من سبط عاث[١] وبعضهم من سبط زان، كذلك قام بالخلافة بعد أبى بكر رضى الله عنه جماعة مختلفة أنسابهم بعضهم من بنى عدى، وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن (رياح)[٢] بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب. وبعضهم من بنى (أبى)[٣] العاص بن أمية بن عبد شمس بن (عبد)[٤] مناف بن قصى * وهو عثمان بن عفان بن أبى العاصى. وبعضهم من بنى هاشم وهما على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، وابنه الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عليهم.

وبعضهم من بنى حرب بن أمية بن عبد شمس، وهم معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، وابنه يزيد بن معاوية، وابنه معاوية بن يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان، وبعضهم من بنى أسد بن عبد العزى (بن قصى)[٥] ابن كلاب، وهو عبد الله بن الزبير بن العوام بن أسد بن عبد العزى. وبعضهم من بنى الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس وهم مروان ابن الحكم، وابنه عبد الملك بن مروان وبنوه.

وكما أن بنى إسرائيل استقر أمرهم بعد من ذكرنا فى يهوذا، كذلك استقرت الخلافة بعد من ذكرنا فى بنى العباس. وكما أن يهوذا عم موسى عليه السلام، كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم هو عم رسول الله صلى الله

---

(١) بهامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أنه بهامش الأصل (كاد).

(٢) وردت فى المخطوطة [و] (رباح) وفى باقى المخطوطات (رياح) مع إشارة فى هامش المخطوطة [ك] إلى أنه ورد بهامش الأصل (رباح بالباء الموحدة) والصحيح رياح انظر الزبيرى ٣٤٧.

(٣) لم ترد (أبى) فى المخطوطة [و] ووردت بباقى المخطوطات، وفى هامش المخطوطة [ك] إشارة إلى أن هامش الأصل وردت به (من بنى العاص) والصحيح بنى أبى العاص أنظر الزبيرى ص ١٠٠.

(٤) لم ترد (عن) فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٥) (بن قصى) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

عليه وسلم. وكما أن يهوذا قدمه يعقوب على إخوته وبشره ومدحه، كذلك العباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجله ويكرمه ويثنى عليه.

وكما أن أمر بنى إسرائيل افترق فى دولة بنى يهوذا، وصاروا بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين، فرقة بالقدس مع ابنه رُحْبَعَمْ بن سليمان وهم يهوذا وسبط بنيامين، وفرقة بشمرون مع يربعام بن نباط وهم بقية الأسباط، كذلك لما صارت الخلافة فى بنى العباس افترق أمر الأمة فصار فى الأنبار، ثم فى بغداد بنو العباس، وفى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده. فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بنى العباس، كما لم تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا.

وكما أن مدينة القدس التى هى دار ملك بنى يهوذا كانت تدعى أورشليم ومعناها دار السلام، كذلك بغداد[1] دار ملك بنى العباس كان يقال لها دار السلام.

وكما أن دولة يربعام ومن بعده بشمرون، التى عرفت اليوم بنابلس، انقرضت قبل دولة بنى يهوذا بالقدس، فإنها لم تقم غير مائتين وإحدى وستين سنة. فكذلك دولة بنى أمية بالأندلس فإنها انقرضت قبل انقراض دولة بنى العباس، فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة. وكما أن دولة بنى يهوذا بالقدس أقامت من عهد داود عليه السلام - وهو أول من ملك منهم - إلى أن انقرضت نحوًا من خمسمائة سنة، فإنها أقامت أربعمائة وعشر سنين، كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ أبى العباس عبد الله السفاح - أول قائم منهم - إلى أن انقرضت أيامهم خمسمائة وأربعًا وعشرين سنة.

وكما أن دولة بنى يهوذا انقرضت على يد بخت نصر، فإنه سار إليهم من

---

(١) (بغداد) وردت فى المخطوطة [و] ولم ترد فى باقى المخطوطات.

بلاد المشرق وقاتلهم وهدم مدينة القدس دار ملكهم، وقتل رجالهم، وسبى نساءهم. فكذلك زالت دولة بنى العباس على يد هولاكو لما قدم إلى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبى النساء. وكما أن (أمر)[1] بنى إسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم، كذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم تجتمع بعد انقراض خلافة بنى العباس لواحد، بل صار فى كل قطر ملك، وكُما عاد لبنى إسرائيل - بعد إزالة بخت نصّر دولتهم - ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم، مدة عمارة بيت المقدس بعد عودهم من الجالية، كذلك أقام الأتراك ملوك مصر رجلا من بنى العباس جعلوه خليفة وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة. وكما أن بنى إسرائيل قوم موسى عليه السلام، قطعهم الله فى الأرض أممًا، كذلك قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، تفرقوا فى أقطار الأرض، وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة. وكما أن أنساب بنى إسرائيل جهلت بأسرها إلا بعض بنى يهوذا، فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، كذلك قريش جهلت (فى)[2] هذه الأيام* أنساب بطونها إلا ما كان من بنى حسن وحسين، فإن أنساب كثير منهم متصلة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

فانظر أعزك الله، كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية، وقد أنذر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم كما بينته فى كتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع» صلى الله عليه وسلم.

---

(١) (أمر) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(٢) (فى) لم ترد فى المخطوطة [و] ووردت فى باقى المخطوطات.

(فصل)[1]

ثبت فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه)[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم. فقلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن» هذا لفظ مسلم. ولفظ البخارى: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتوهم» الحديث بمثله، وفى لفظ له «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذرعًا بذراع لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

ولبقى بن مخلد من حديث أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم باعًا بباع وذراعًا بذراع وشبرًا بشبر حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم معهم، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[3].

والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين[4].

---

(١) كلمة «فصل» لم ترد إلا فى المخطوطة [و] فقط كما ذكرنا.

(٢) (رضى الله عنه) لم ترد فى المخطوطة [و]، ووردت فى باقى المخطوطات.

(٣) انظر: السيوطى فى الجامع الكبير م٢ ص١٤٠٩.

(٤) فى المخطوطة [ب] (والله أعلم. تم وكمل بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. آمين)

نجز من تحريرها العبد الفقير محمد القطرى فى ثانى شهر ذى القعدة سنة ١١٠١ ختمت بخير[1].

(١) لم ترد عبارة مماثلة فى المخطوطة [ب] وعلى المخطوطة ختم حديث بيضاوى لشخص اسمه محمود قنديل بدمياط. وهو ناسخ المخطوطة [ت] على ما يبدو وإن كان خط المخطوطتين مختلف.

أما المخطوطة [ت] فقد وردت فيها العبارة التالية فى صفحة مستقلة بآخرها (فى الأصل ما نصه: وقد نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١١٣١ واحد وثلاثين ومائة وألف. ونقله الفقير على بن السيد محمد الشبلاوى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين).

وهناك إشارة فى صفحة أخرى إلى أن كاتبه محمود قنديل فى محرم سنة ٢٥ والأرجح أنها ١٣٢٥ هـ (١٩٠٦م).

أما المخطوطة [ك]فقد وردت فيها العبارة التالية:

(وقد انتهيت من نسخ هذه النسخة منسوخة من نسخة مكتوب بآخرها ما نصه: إنها منسوخة عن نسخة مكتوب بآخرها ما يأتى: تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن تميم المقريزى الشافعى تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته، وأعاد علينا من فوائد علومه وبركته، وجعله رفيقًا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين على التمام والكمال، ونعوذ بالله من الزيادة والاختلال، والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبىّ بعده محمد وآله وصحبه والتابعين. نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف فى خامس عشر ذى القعدة سنة ١١٣١ واحد وثلاثين ومائة وألف، كتبه الفقير على بن السيد محمد الشبلاوى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين».

تمت كتابته والحمد لله رب العالمين فى يوم الأحد المبارك صبيحة المولد النبوى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٢ ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم آمين.

وكتبه المعتمد على ربه م١٠١٠

ويوافقه ذلك من التاريخ المسيحى اليوم الثامن من شهر فبراير سنة ١٩١٤.

وواضح من الخاتمة أن الأصل للمخطوطتين [ت، ك] واحد.

رسالة الجاحظ
فى بنى أمية

* رسالة للجاحظ فى بنى أمية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجاحظ:

«أطال الله بقاءك، وأتم نعمته عليك، وكرامته لك.

اعلم أرشد الله أمرك، أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليتها إلى طبقات متفاوتة ومنازل مختلفة:

فالطبقة الأولى عصر النبى صلى الله عليه وسلم، وأبى بكر، وعمر رضى الله عنهما وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه، كانوا على التوحيد الصحيح والإخلاص المخلص[2]، مع الألفة، واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة. وليس هناك عمل قبيح، ولا بدعة فاحشة، ولا نزع يد من طاعة، ولا حسد ولا غل ولا تأول حتى كان الذى كان من قتل عثمان رضى الله عنه، وما انتهك منه، ومن خبطهم إياه بالسلاح، وبعج بطنه بالحراب وفرى أوداجه» بالمشاقص[3]، وشلخ هامته بالعمد، مع كفه عن البسط، ونهيه عن الامتناع، مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة، وصلى القبلة، وأكل الذبيحة، ومع ضرب نسائه بحضرته، وإقحام الرجال على

---

(١) ورد عنوان الرسالة فى الأصل الذى رجعنا إليه وفى طبعة محمود عرنوس على النحو الذى أوردناه. أما فى الأصل الذى نشر عنه الأستاذ عبد السلام هارون فقد عنونت الرسالة بـ «رسالة لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إلى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أبى داود فى النابتة». أما السيد عزت العطار الحسينى فقد نشرها بعنوان «رأى أبى عثمان بن بحر الجاحظ فى معاوية والأمويين».

(٢) فى هامش الأصل (لعله المحض).

(٣) المشاقص: مفردها مشقص، والمشقص من النصل الطويل العريض، والمشقص: سهم ذو نصل عريض.

حرمته، مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة[١] عنه بيدها، حتى أَطَنُّوا[٢] إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعًا لهم، وكاسرًا من عزمهم، مع وطئهم فى أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزبلة جسده مجردًا بعد سحبه، وهى الجزرة التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوًا لبناته وإياماه وعقائله[٣]، بعد السب، والتعطيش، والحصر الشديد، والمنع من القوت، مع احتجاجه عليهم، وإفحامه لهم، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن إلا من ارتد بعد الإسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل مؤمنًا على عمد، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان فى امتناعهم منه عطبة، ومع اجتماعهم على أن لا يقتل من هذه الأمة مولى، ولا يجهز منها على جريح. ثم مع ذلك كله (دمروا)[٤] عليه وعلى أزواجه وحرمه، وهو جالس فى محرابه ومصحفه يلوح فى حجره لن يرى أن موحدًا (يقدم)[٥] على قتل من كان فى مثل صفته وحاله.

لا جرم لقد احتلبوا به دمًا لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت ثائره، ولا يكل طالبه، وكيف يضيع الله دم وليه[٦] والمنتقم له؟ وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه، وقتل سافحه، وأدرك

---

(١) نائلة بنت الفرافصة: امرأة عثمان وهى نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن الحصن بن ضمضم بن عدى بن جناب كانت مسلمة وكان أبوها نصرانيًا. انظر: ابن سعد «طبقات» جـ ٨ ص ٤٨٣ وابن حزم ص ٤٥٦.

(٢) أطنوا: قطعوا.

(٣) زوجات عثمان هن: رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وفاختة بنت غزوان بن جابر، وأم عمر بنت جندب وفاطمة بنت الوليد بن شمس بن المغيرة وأم البنتين بنت عتبة بن حصن ورملة بنت ربيعة بن عبد شمس انظر: ابن سعد «طبقات» جـ ٣ ص ٥٠٤.

(٤) فى الأصل (دفروا) وقد صوبناه نقلاً عن عبد السلام هارون، ودمروا عليه أى دخلوا عليه بدون استئذان، ودفروا: دفعوا ولا يستقيم المعنى هنا.

(٥) فى الأصل (تقدم) وقد ورد فى هامش الأصل (لعله يقدم) ووردت فى طبعة الحسينى وطبعة هارون (يقدم) دون إشارة فى الهامش.

(٦) أثبت الأستاذ عبد السلام هارون العبارة هكذا (وكيف يضيع دم الله وليه). وأشار فى الهامش إلى اختلافها فى الأصول التى رجع إليها.

بطائلته، وبلغ كل محبته[1] كذمه رحمة الله عليه، ولقد كان لهم فى أخذه، وفى إقامته للناس والاقتصاص منه، وفى بيع ما ظهر من رباعه وحدائقه وسائر أمواله، وفى حبسه بما بقى عليه، وفى طمره حتى لا يحس بذكره ما يغنيهم عن قتله، أن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه، وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين والسلف المتقدمين والأنصار والتابعين.

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة، ومراتب متباينة : من قاتل، ومن شاد على عضده، ومن * خاذل عن نصرته. والعاجز ناصر بإرادته ومطيع بحسن نيته، وإنما الشك منا فيه وفى خاذله، ومن أراد عزله والاستبدال به، فأما قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه، فضلال لا شك فيهم، ومراق لا امتراء فى حكمهم، على أن هذا لم يعد منهم الفجور، إما على سوء تأويل وإما على تعمد للشقاء.

ثم ما زالت الفتن متصلة والحروب مترادفة كحرب الجمل، وكوقائع صفين وكيوم النهروان، وقبل ذلك يوم الزابوقة[2]، وفيه أسر (ابن حنيف)[3] وقتل حكيم بن جبلة[4]. إلى أن قتل أشقاها عَلِيًّ بن طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة وأوجب لقاتله النار واللعنة.

إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخليته الأمور عند

---

(١) فى الأصل (كل محبته) وفى طبعة عبد السلام هارون (كل محنته).

(٢) يوم الزابوقة : أى موقعة الجمل والزابوقة هى موضع قرب البصرة وقعت فيه الموقعة.

(٣) فى الأصل (ابن حنيفة) أما فى الأصل الذى رجع إليه الأستاذ عبد السلام هارون (أبو حنيف) ومصححة فى جميع كتب الطبقات على النحو الذى أوردناه، وهو: عثمان بن حنيف بن واهب الأنصارى. انظر: ابن عبدالبر، م ٣ ص ١٠٣٣، وابن حزم ص ٣٣٦. وابن خلكان، جـ ٣ ص ١٨ و١٩.

(٤) حكيم بن جبلة بن حصين العبرى من بنى عبد القيس، صحابى من عمال عثمان على السند، وكان ممن عابوا عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله وانضم إلى على فيما بعد. [انظر: ترجمته : ابن عبد البر، م ١ ص ٣٣٦، ص ٣٦٩ - الذهبى « دول الإسلام » جـ١ ص١٨، ابن حجر « تهذيب التهذيب » جـ ٢ ص ١٦٤.

انتشار أصحابه وما رأى من الخلل فى عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه وكثرة تلونهم عليه، فعندها استوى معاوية على الملك، واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين فى العام الذى سموه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذى تحولت فيه الإمامة مُلكًا كسرويًا، والخلافة غصبًا قيصريًا، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق.

ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردًا مكشوفًا وجحد حكمه جحدًا ظاهرًا فى ولد الفراش وما يجب للعاهر[1]. مع اجتماع[2] الأمة أن سمية لم تكن لأبى سفيان فراشًا، وأنه إنما كان بها عاهرًا، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار.

وليس قتل حجر بن عدى[3]، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفىء، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة.

وسواء فى باب ما يستحق من (الإكفار)[4] جحد الكتاب ورد السنة، (إذ)[5] كانت السنة فى شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشد. فهذه أول كفرة كانت من الأمة. ثم لم تكن إلا فيمن

---

(١) على هامش المخطوطة (ونص الحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر).

(٢) فى الأصل الذى رجع إليه الأستاذ عبد السلام هارون (إجماع) وهو ما أثبته.

(٣) حجر بن عدى بن الأدبر الكندى، قتله معاوية بن أبى سفيان سنة ٥١ هـ. انظر ترجمته: ابن عبد البر، جـ ١ ص ٣٢٩، ص ٣٣٢.

(٤) فى الأصل (الكفار) وفى طبعة الأستاذ عبد السلام هارون مثل ما أثبتناه.

(٥) فى الأصل (إذا) وفى جميع الطبعات مثل ما أثبتناه.

يدعى إمامتها والخلافة عليها، على أن كثيرًا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره، وقد أربت عليهم نابتة[1] عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت: «لا تسبوه فإن له صحبة، وسب معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السنة، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة.

ثم الذى كان من يزيد ابنه، ومن عماله وأهل نصرته، ثم غزو مكة، ورمى الكعبة، واستباحة المدينة، وقتل الحسين عليه السلام فى أكثر أهل بيته، مصابيح الظلام وأوتاد الإسلام، بعد الذى أعطى من نفسه من تفريق أتباعه والرجوع إلى داره وحرمه، أو الذهاب فى الأرض حتى لا يحس به، أو المقام حيث أمر به، فأبوا إلاّ قتله، والنزول على حكمهم، وسواء قتل نفسه بيده أو أسلمها إلى عدوه، وخير فيها من لا يبرد غليلَه إلا بشرب دمه. فأحسبوا قتله ليس بكفر، وإباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة كيف تقولون[2] فى رمى الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين؟ فإن * قلتم ليس ذلك أرادوا، بل

---

(١) النابتة فى اللغة هم الجيل الناشئ الجديد، وقد استخدم اصطلاح النابتة للدلالة على الفئة الجديدة التى بدأت تظهر فى القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى والتى أخذت موقفًا معاديا للعباسيين وسياستهم نحو العلويين وآرائهم والمعتزلة ومذهبهم، وقد اتخذ النابتة من الولاء الأموى رمزًا لمعارضتهم خاصة الولاء لمعاوية بن أبى سفيان.

ولم يقتصر ظهور النابتة على الشام معقل الحكم الأموى، بل انتشر إلى العراق، كما دعا المأمون والمعتضد إلى الأمر بلعن معاوية والأمويين على المنابر ولكن هذا الإجراء لم ينفذ خوفًا من استفادة الشيعة منه.

وقد كانت رواية الأحاديث التى تعدد فضائل معاوية والأمويين صورة من صور معارضة العباسيين، ومن الذين عرفوا بذلك موسى بن عبيد الله بن خاقان، ويحيى بن غالب، وأبى عمر الزاهد المعروف بغلام تغلب.

وقد كانت النابتة من الفرق والمذاهب السنية التى اعتمدت المنطق وعلم الكلام، وحاولت جاهدة التقليل من أثر المعتزلة الفكرى، ونجحوا فى جذب جمهور واسع من العامة، لذلك لم يعد النزاع كما كان من قبل نزاعًا بين الفقهاء والمحدثين التقليديين والمعتزلة، بل أصبح نزاعًا بين المتكلمين من المعتزلة والمتكلمين من أعداء المعتزلة.

وقد انتشر النابتة والفئات المتشيعة للأمويين فى بلاد فارس وتطور مذهبهم حتى صاروا يقدسون معاوية ويزيد، وإن كان النابتة قد وصلوا إلى هذا التطرف فى فترة تالية لتلك التى كتب فيها الجاحظ رسالته.

انظر: الفاروق عمر، العباسيون الأوائل جـ ١ ص ١٣٧ ط ٢ بغداد ١٩٧٧ ص ٩٨، ص ١٠٢، ص ٣٠٢، ص ٣٠٨.

(٢) فى الأصل الذى رجع إليه الأستاذ عبدالسلام هارون (تقول).

إنما أرادوا المتحرز به والمتحصن بحيطانه، أفما كان من حق البيت وحريمه أن يحصروه فيه إلى أن يعطى بيده، وأى شيء بقى من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه.

وأحسب ما رووا عليه من الأشعار التى قولها[١] شرك والتمثل بها كفر، شيئًا مصنوعًا، كيف تصنع[٢] بنقر القضيب بين ثنتى الحسين عليه السلام، وحمل بنات رسول الله (ﷺ) حواسر على الأقتاب العارية، والإبل الصعاب، والكشف عن عورة على بن الحسين عند الشك فى بلوغه، على أنهم إن وجدوه وقد أنبت قتلوه، وإن لم يكن أنبت حملوه كما يصنع أمير جيش المسلمين بذرارى المشركين، وكيف تقول[٣] فى قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته، دعونى أقتله فإنه بقية هذا النسل، فأحسم به هذا القرن، وأميت به هذا الداء، وأقطع به هذه المادة؟

خبرونا عَلَامَ تدل هذه القسوة، وهذه الغلظة بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم، ونالوا ما أحبوا فيهم؟ أتدل على نصب وسوء رأى وحقد وبغضاء ونفاق، وعلى يقين مدخول، وإيمان مخروج[٤]، أم تدل على الإخلاص وعلى حب النبى صلى الله عليه وآله وسلم والحفظ له، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة؟.

فإن كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال - وذلك أدنى منازله، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن لعن الملعون فملعون.

وزعمت نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا، أن سب ولاة السوء فتنة، ولعن الجورة بدعة، وإن كانوا يأخذون السمى بالسمى، والولى بالولى، والقريب

---

(١) المقصود هنا أبيات ابن الزبعرى التى قالها يوم أحد.

(٢) فى طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (يُصنع).

(٣) فى طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (تقولون).

(٤) فى طبعة الأستاذ عبد السلام هارون (ممزوج).

بالقريب، وأخافوا الأولياء، وأمنوا الأعداء، وحكموا بالشفاعة والهوى، وإظهار القدرة والتهاون بالأمة، والقمع للرعية، وأنهم فى غير مداراة ولا تقية، وأنه عدا ذلك إلى الكفر و[جاوز][١] الضلال إلى الجحد، فذلك أضل من الجحد لمن كف عن شتمهم والبراءة منهم.

على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل، كمن استحقه برد السنة وهدم الكعبة، وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير[٢]. والنابتة فى هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه، وابن زياد وأبيه، ولو ثبت أيضًا على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعرى[٣]:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لاستطالوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تسل
قد قتلنا الغرّ من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كان تجوير النابتى لربه، وتشبيهه بخلقه، أعظم من ذلك وأقطع. على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنًا متعمدًا أو متأولاً. فإذا كان القاتل سلطانًا جائرًا، أو أميرًا عاصيًا، لم يستحلوا سبه ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه، وإن أخاف الصلحاء، وقتل الفقهاء، وأجاع الفقير، وظلم الضعيف، وعطل الحدود والثغور، وشرب الخمور وأظهر الفجور.

ثم ما زال الناس يتكدرون * مرة، ويداهنونهم مرة، ويقاربونهم مرة، ويشاركونهم مرة، إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره، حتى قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجاج ومولاه يزيد بن [أبى مسلم][٤] فأعادوا على

---

(١) فى الأصل (جواز) أما فى طبعة الأستاذ عبد السلام هارون فهى على النحو الذى أثبتناه.

(٢) فى هامش الأصل (بالراء المهملة كذا بالأصل).

(٣) عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى: أنظر ابن عبد البر، (القسم الأول) ص ٩٠١.

(٤) فى الأصل (يزيد بن أبى مسلمة)، والصحيح يزيد بن أبى مسلم وهو يزيد بن أبى مسلم دينار الثقفى انظر ابن خلكان جـ ٦ ص ٣٠٩ - ٣١٢.

البيت بالهدم، وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحرمة وحولوا قبلة واسط، وأخروا صلاة الجمعة إلى مغيربان الشمس. فإن قال رجل لأحدهم: «اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها».. قتله على هذا القول جهارًا غير ختل[1]، وعلانية غير سر، ولا يعلم القتل على ذلك إلا أقبح من إنكاره، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه، وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ [بعض][2] الجبابرة وخوفه العواقب، وأراه أن فى الناس بقية ينهون عن الفساد فى الأرض، حتى قام عبد الملك بن مروان والحجاج فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه وقتلا فيه، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

فأحسب تحويل القبلة كان غلطًا، وهدم البيت كان تأويلًا، وأحسب ما رووا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء فى أهله أرفع عنده من رسوله إليهم، باطلًا و[مصنوعًا][3] مولدًا. وأحسب وشم[4] أيدى المسلمين، ونقش أيدى المسلمات، وردهم بعد الهجرة إلى قراهم[5]، وقتل الفقهاء، وسب أئمة الهدى، والنصب لعترة رسول الله (ﷺ) لا يكون كفرًا، كيف تقول فى جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة، ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس على أعالى الجدران كالملأ المعصفر فإن نطق مسلم خبط بالسيف، وأخذته العمد وشك بالرماح، وإن قال قائل: «اتق الله. أخذته العزة بالإثم، ثم لم يرض إلا بنثر دماغه على صدره وبصلبه حيث تراه عياله!».

ومما يدلك على أن القوم لم يكونوا إلا فى طريق التمرد على الله عز وجل، والاستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق، أكل أمرائهم الطعام وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم، فعل ذلك حسن

(١) ختل: أى خداع.

(٢) ليست فى الأصل وقد أضافها الأستاذ عبد السلام هارون حتى يتسق المعنى.

(٣) فى الأصل مسموعًا، أما طبعة الأستاذ عبد السلام هارون فهى على النحو الذى أثبتناه.

(٤) وشم الشيء كواه فأثر فيه بعلامة.

(٥) فى الأصل الذى رجع إليه الأستاذ عبدالسلام هارون (القرى).

ابن وبلجة[1]، وطارف مولى عثمان، والحجاج وغيرهم، وذلك أن كان كفرًا كله، فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا، وروافض دهرنا، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . .

كان اختلاف الناس فى القدر على أن طائفة تقول : «كل شىء بقضاء وقدر». وتقول طائفة أخرى : «كل شىء بقضاء وقدر إلاّ المعاصى» ولم يكن أحد يقول : «إن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء، وإن الكفر والإيمان مخلوقان فى الإنسان مثل العمى والبصر». و(كانت)[2] طائفة منهم تقول إن الله يرى، لا تزيد على ذلك، فإن خافت أن يظن بها التشبيه قالت : «يرى بلا كيف تعريا من التجسيم والتصوير، حتى نبتت هذه النابتة* وتكلمت هذه الرافضة، فقالت : [له] جسمًا، وجعلت له صورة وحدًّا، وكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير[3]. ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين، وحجة وبرهان، وأن التوراة غير الزبور، والزبور غير الإنجيل، والإنجيل غير القرآن والبقرة غير آل عمران، وأن الله تولى تأليفه وجعله برهانًا على صدق رسوله، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد، ولو شاء أن ينقص منه نقص، ولو شاء أن يبدله بدله، ولو شاء أن ينسخه كله لغير نسخه، وأنه أنزله تنزيلاً، وأنه فصله تفصيلاً، وأنه بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه هو، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقه، فأعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق.

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه، فإذا قالوا خلق كذا

---

(١) انظر ابن حزم، ص٢٢٨، والصحيح حبيش بن وبلجة القينى.

(٢) فى الأصل (وكان).

(٣) فى طبعة الأستاذ عبدالسلام هارون وردت على النحو التالى : (حتى بنت هذه النابتة وتكلمت هذه الرافضة، فثبتت له جسما، وجعلت له صورة واحدًا وآل من قال بالرؤية على غير الحقيقة) دون إشارة إلى اختلاف فى المخطوطات.

وكذا، ولذلك، قال: ﴿أحسن الخالقين﴾[١] وقال ﴿تخلقون إفكًا﴾[٢و٣] وقال: ﴿وَإذْ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾[٤]، تقديره: صنعه وجعله وقدره وأنزله وفصله وأحدثه، ومنعوا خلقه وليس تأويل خلقه أكثر من قدره. ولو قالوا بدل قولهم: «قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم إلاّ من وجه واحد».

والعجب أن الذى منعه - بزعمهم - أن يزعم أنه مخلوق، أنه لم يسمع ذلك من سلفه، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضًا عن سلفه أنه ليس بمخلوق وليس ذلك بهم، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام، ولما كنا عندهم على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة وكنا لكلامنا غير خالقين، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق. إذ كنا غير خالقين لكلامنا. فإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرق، وإن لم يقروا بذلك بألسنتهم. فذلك معناهم وقصدهم.

وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الإثم والضلال، إلا ما حكيت لك عن بنى أمية وبنى مروان وعمالهم ومن لم يدن بإكفارهم، حتى نجمت النوابت وتابعتها هذه العوام، فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو التشبيه والجبر فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى فى الأعمال التى هى الفسق [وصاروا][٥]

---

(١) وردت فى سورة المؤمنون، مكية (٢٣) من الآية ١٤ ﴿فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾ وفى سورة الصافات مكية، (٣٧)، الآية ١٢٥، ﴿أتدعون بَعْلاً وتَذَرُون أحسنَ الخالقين﴾.

(٢) فى الأصل (يخلقون): وهو خطأ.

(٣) سورة العنكبوت مكية، (٢٩) الآية (١٧) ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا﴾.

(٤) سورة المائدة، مدنية، (٥) من الآية ١١٠.

(٥) لم ترد فى الأصل، وكذلك أضافها الأستاذ عبدالسلام هارون حيث لم ترد فى الأصل الذى رجع إليه.

شركاء من كفر منهم بتوليهم وترك إكفارهم. قال الله عز وجل: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[(١)].

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقين ورحمهم، وقوى ضعفهم وكثّر قلتهم حتى [صار][(٢)] ولاة أمرنا فى هذا الدهر الصعب، والزمن الفاسد أشد استبصارًا فى التشبيه من عليتنا، وأعلم بما يلزم فيه منا وأكشف للقناع من رؤسائنا وصادقوا الناس * وقد انتظموا معانى الفساد أجمع. وبلغوا غايات البدع. ثم قرنوا بذلك العصبية التى هلك بها عالم بعد عالم، والحمية التى لا تبقى دينًا إلا أفسدته، ولا دنيا إلا أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية، وما قد صار إليه الموالى من الفخر على العجم والعرب، وقد نجمت من الموالى ناجمة، ونبتت منهم نابتة تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيًّا لقول النبى (ﷺ) : «مولى القوم منهم»[(٣)]. ولقوله: «الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب»[(٤)]. قال: فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب، ولما حول ذلك إلى العرب، صارت العرب أشرف منهم.

قالوا: «فنحن معاشر الموالى بقديمنا فى العجم أشرف من العرب، وبالحديث الذى صار لنا فى العرب أشرف من العجم، [وللعجم] القديم دون الحديث وللعرب الحديث دون القديم[(٥)]، ولنا خصلتان جميعًا وافرتان فينا، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة.

وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميًّا عربيًّا بولائه، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيًّا بحلفه. وبعد أن جعل إسماعيل وكان أعجميًّا

---

(٥) لم ترد فى الأصل، وكذلك أضافها الأستاذ عبد السلام هارون حيث لم ترد فى الأصل الذى رجع إليه.

(١) سورة المائدة، مدنية (٥) من الآية ٥١.

(٢) فى الأصل (صاروا) وقد صححها الأستاذ عبد السلام هارون فى طبعته.

(٣) فنسنك: «مفتاح كنوز السنة» ص ٤٨٧.

(٤) فنسنك المرجع نفسه ص ٤٨٧.

(٥) فى الأصل (وللعرب القديم دون الحديث) وقد صححناه حتى يستقيم المعنى وصححها عزت العطار (وللعرب الحديث دون القديم وللعجم القديم دون الحديث).

عربيًّا[1] ولولا قول النبي (ﷺ) : «إن إسماعيل كان عربيًّا» ما كان عندنا إلا أعجميًّا، لأن الأعجم لا يصير عربيًّا كما أن العربي لا يصير أعجميًّا. فإنما علمنا أن إسماعيل صيره الله عربيًّا بعد أن كان أعجميًّا بقول النبي (ﷺ) : فكذلك حكم قوله «مولى القوم منهم» وقوله «الولاء لحمة».

قالوا : «وقد جعل الله إبراهيم (ﷺ) أبًا لمن لم يلد[2]، كما جعله أبًا لمن ولد. وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ولم يلدن منهم أحدًا، وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه.

وليس أدعى إلى الفساد ولا أجلب للشر من المفاخرة وليس على ظهرها إلا فخور.

وأي شيء أغيظ من أن يكون عبدك زعم أنه أشرف منك وهو مقر أنه صار شريفًا بعتقك إياه!

وقد كتبت - مد الله في عمرك - كتبًا في مفاخرة قحطان، وفي تفضيل عدنان، وفي رد الموالي إلى مكانهم في الفضل والنقص، وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف. أرجو أن يكون عدلاً بينهم وداعية إلى صلاحهم ومنبهة عليهم ولهم.

وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول إليك ثم رأيت ألا يكون إلا بعد استئذانك واستئمارك والانتهاء في ذلك إلى رغبتك، فرأيك فيه[3] موفق إن شاء الله تعالى[4] وبه الثقة.

(تمت)[5]

---

(١) عند الأستاذ عبد السلام هارون (وجعل إسماعيل بعد أن كان أعجميًّا عربيًّا).

(٢) إشارة إلى القول بأن إبراهيم أبو الأنبياء.

(٣) عند الأستاذ عبد السلام هارون (فيك).

(٤) عند الأستاذ عبد السلام هارون (الله عز وجل).

(٥) عند الأستاذ عبد السلام هارون وردت الخاتمة على النحو التالي :

«تمت الرسالة من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله، إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود في النابتة، والله الموفق للصواب.

فهرس القرآن الكريم

كشاف هجائي عام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس محتوى الكتاب

الصفحة

رقم الإيداع		١٩٨٨ / ٢٧٣٠
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-٢٤٥٠-٢	ISBN

١ / ٨٤ / ١٢٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)